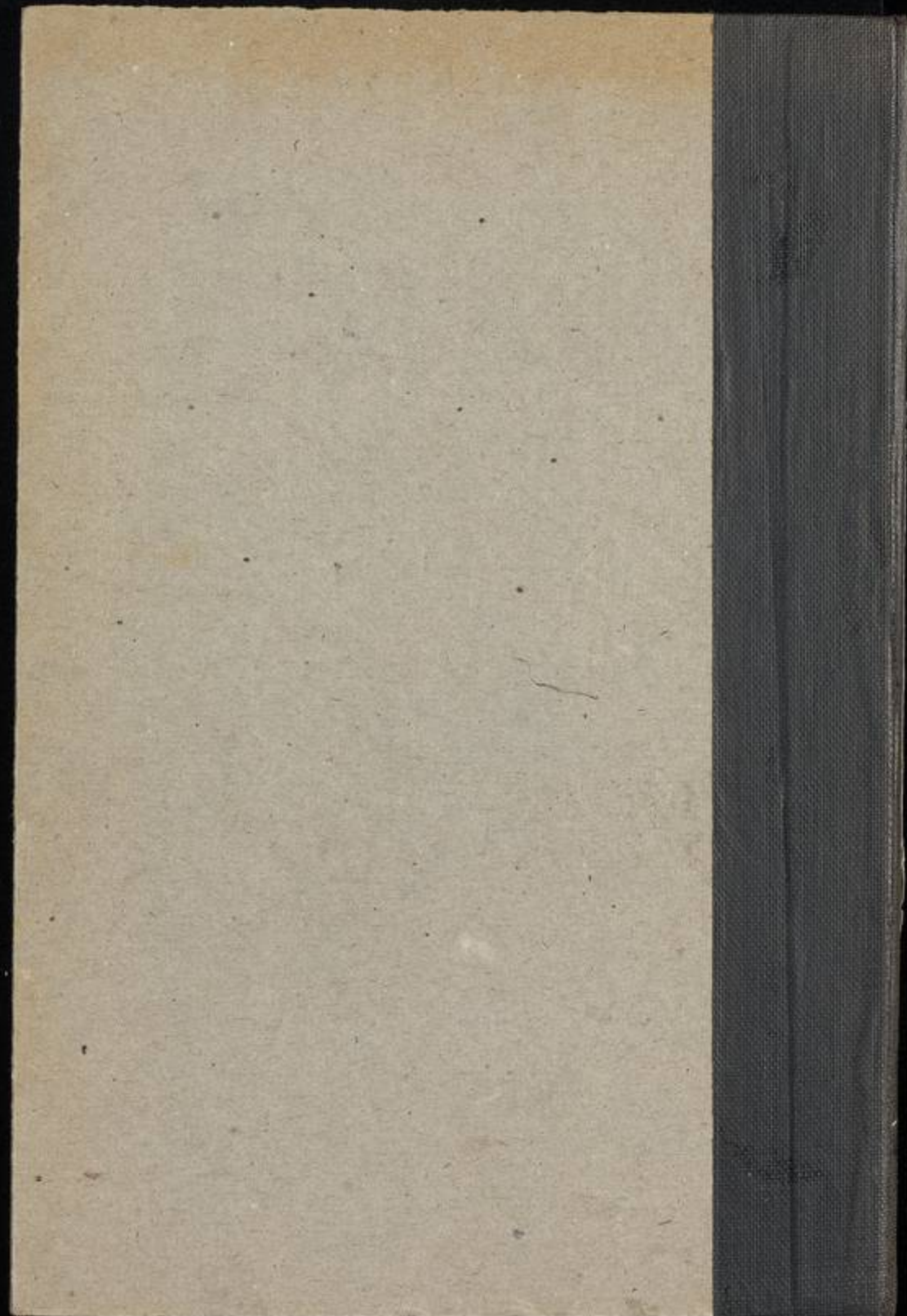
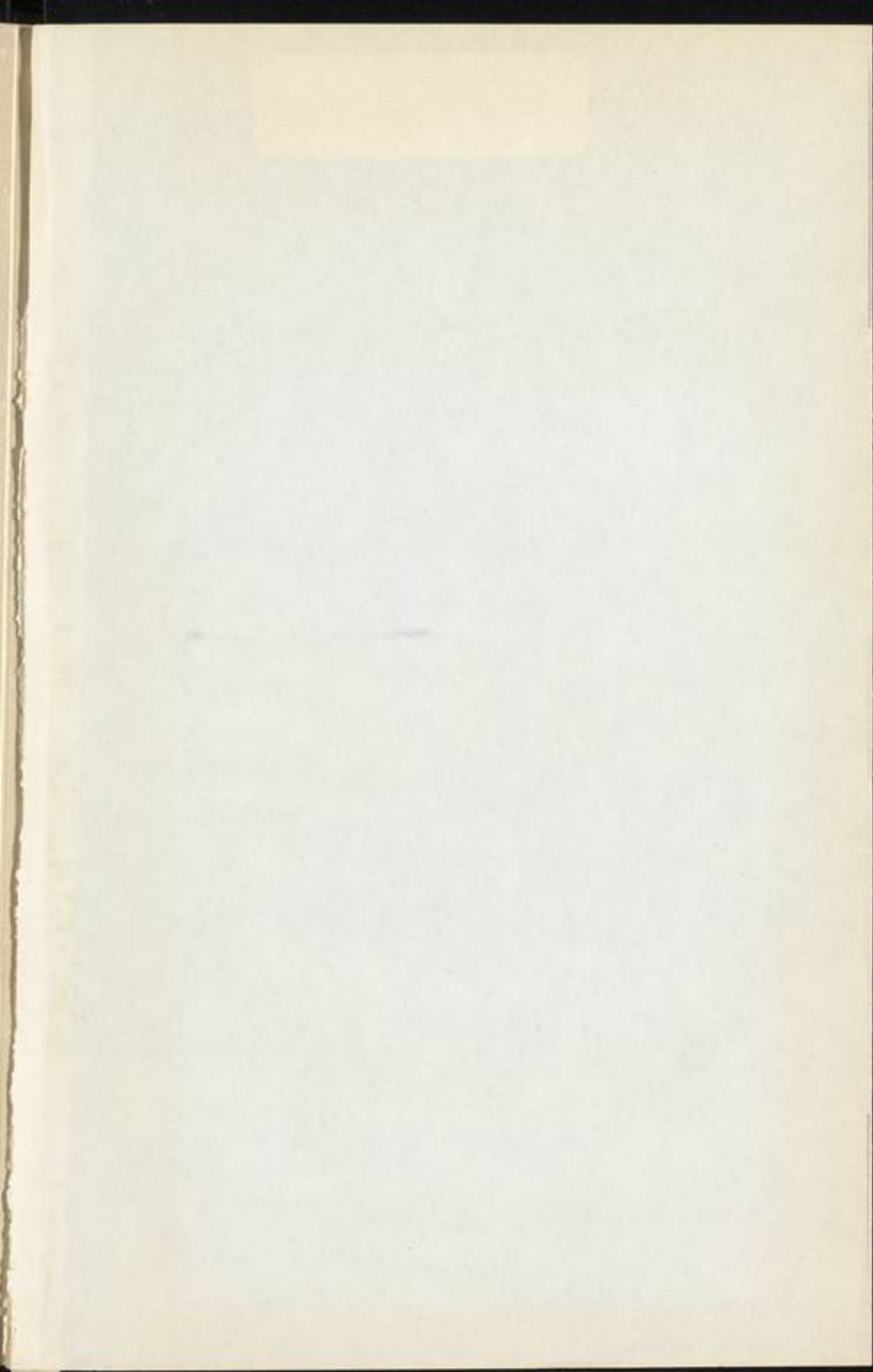




Princeton University Library

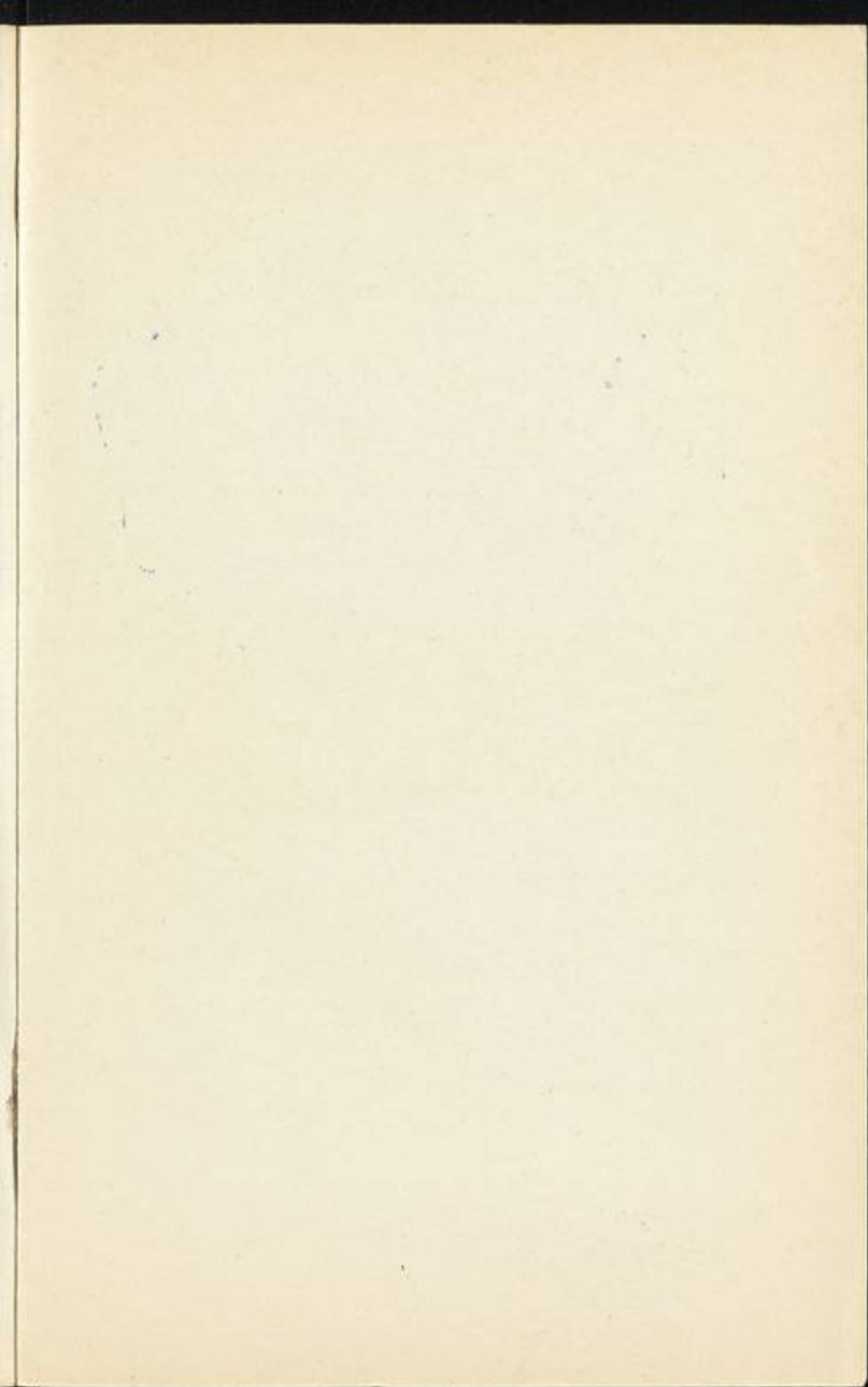


32101 073546242





عبد الرحمن البدي



al-Bayk, 'Abd al-Rahmān

عبد الرحمن البیک

جسٹس ہوسٹ

Jasad al-hukūmah

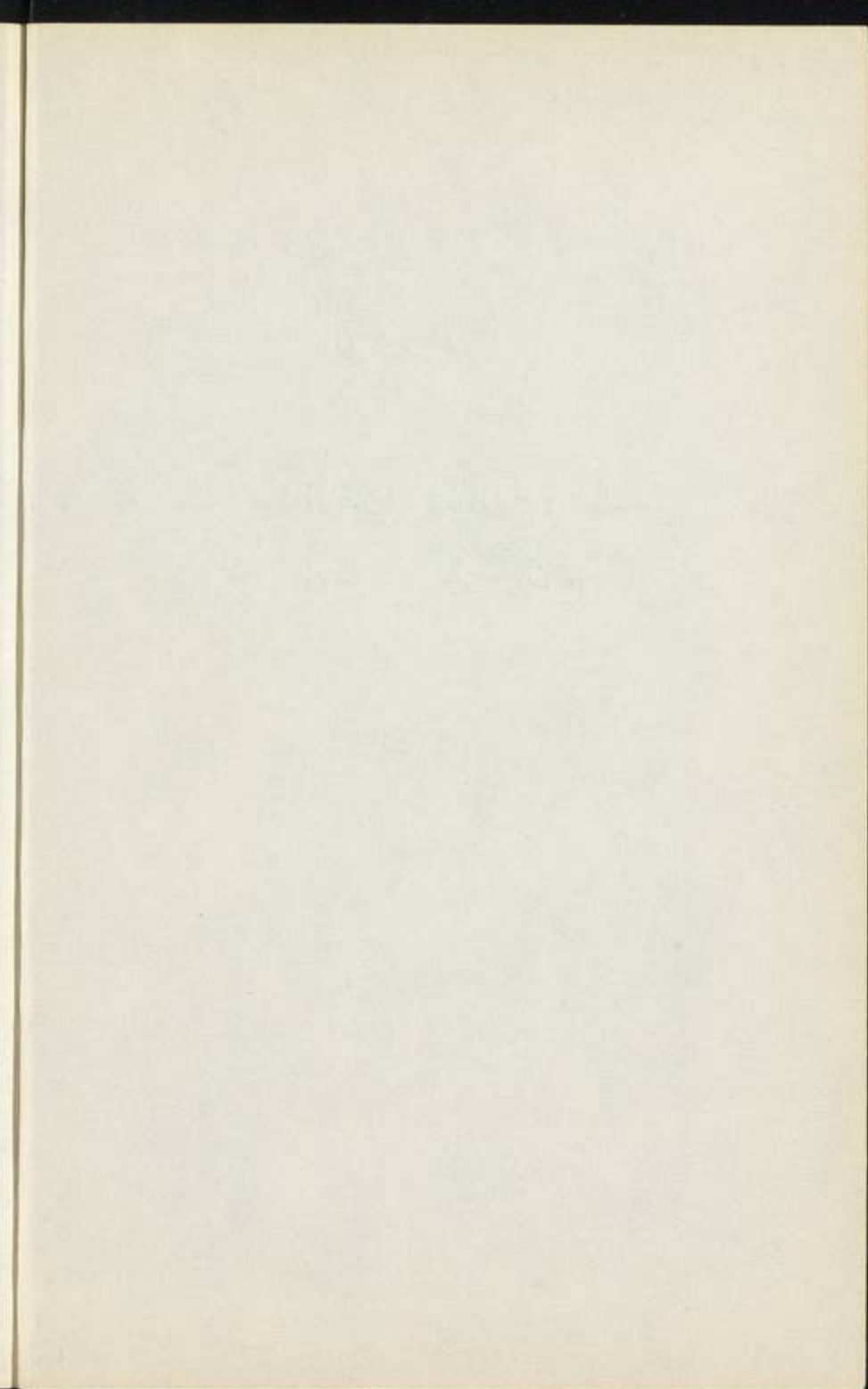
مجموعۂ قصص

2267
.1736
.349

الطبعة الأولى
نشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨

الاهراء

الى الذين يبعثون الروح في الجسد
الى شعب في الجزائر يكافح



المقدمة

في مقال بعنوان «الجلادون»، لأحد الكتاب الفرنسيين^(١) تحقيق صادق عن أسباب التعذيب والتنكيل التي يعامل بها الفرنسيون ، أحرار الجزائر .

فقد صدر منذ عهد قريب ، كتاب في فرنسا بعنوان « الاستجواب Question » ؛ ينقل الى الضمائر الحية ، صور التعذيب والاضطهاد التي يسوم بها الفرنسيون ، سكان الجزائر الأصليين .

ومؤلف الكتاب ، مواطن فرنسي اسمه بيار اليغ Pierr Alleg ، وهو الآن نزيل سجون الجزائر .

وعنوان كتاب اليغ ، يصور الواقع أدق تصوير . إذ ان الواقع هناك ، هو هذا العذاب الذي يستضيفون به نزلاء السجون . وليس هناك الا الاضطهاد والتنكيل يعاملون بها أحرار الجزائر . ان الاستجواب ، يفضح أسباب الاستبداد التي يكتم بها المسؤولون الفرنسيون أفواه الأحرار ؛ وهو يعلن بأن طرق

(١) جان بول سارتر : ترجمة عابدة مطرجي ادريس

البطش والعنف والتعذيب، ليست مفيدة لاتخاذ مجد فرنسا وكرامة جيشها من الحضيض، بل هي طريقة من أجل الوصول الى اسرار الثوار، للقضاء على ثورهم.

أما مقال «الجلادين». فإنه عبارة عن تعقيب على ذلك الكتاب. وهو في الحقيقة صورة ناطقة عن الروح التي تجلت في رجالات فرنسا.

ومن خلال ذلك المقال، يدين أبناء فرنسا فرنسا.

يقول كاتب الجلادين: (١)

« فإذا كان على الوطنية، أن ترمينا في حضن الحقارة، اذا لم يكن هناك أي حاجز في أي مكان، لا يمنع في أية لحظة الامم ولا الانسانية كلها من ان تنصب في الانسانية، فلماذا نحن اذن نكلف أنفسنا هذا الجهد كله لنصبح أو لنظل بشراً؟ ان الانساني هو حقيقتنا. »

لم يعرف أحد بعد، على وجه البسيطة، غاية فرنسا. فقد تواترت أعمالها في الجزائر بين كثير من المفاهيم المتباينة، تلك المفاهيم التي تظل ابداً سلبية.

فلننظر ما يقول الكاتب بهذا الخصوص:

(١) مجلة الآداب، العدد الرابع، نيسان ١٩٥٨

« والمفارقات في الجزائر غير قابلة للتخفيف . ان كلا من الفريقين المتصارعين . يطالب بطرد الفريق الآخر بصورة جذرية . ولقد سلبنا المسلمين كل شيء ، ثم حرّمنا عليهم كل شيء ، حتى استعمال لغتهم الخاصة . ولقد صغينا حضارتهم فسيما منعنا عنهم حضارتنا . كانوا قد طلبوا الانضمام (١) فقلنا لهم .. لا .. » .

« ان النظام المتبع ، كان يدفعهم ، وعم البؤساء الجبهة المحتاجون للغذاء (١) ، الى تخوم الصحراء ، والى آخر حدد الانساني دفعا لا شفقة فيه ، وقد كان مستوى حياتهم ، بسبب ازدياد المواليد ، ينحدر من سنة الى سنة . وحين دفعهم اليأس الى الثورة ، قلنا عليهم ، هؤلاء اللابشر ، ان يموتوا أو يؤكّدوا انسانيّتهم ضدنا ، فاذا هم يطرحون قيمنا وثقافتنا وتفوقنا المزعوم . واستوى عندهم ان يطالبوا بصفة الانسان أو ان يرفضوا الجنسية الفرنسية .
في هذا الحديث ، مساس في جوهر القضية . ان العبرة هي في هذه الفكرة .. جعل الجزائر فرنسية ، مع اجتثاث اسلامها وحرهم في غياهب الصحارى الجنوبية .

(١) تجاهل سارتر في كتابته الاسباب التي ادت الى بؤسهم وجهلهم وحاجتهم الى الغذاء . فهل يحسب أنهم بؤساء وجهلة بالفطرة .. ؟ هل يوافق على فكرة الاستعمار الاصلية التي يتخذونها ذريعة للاحتلال والتي تتلخص بتثقيف الشعوب الجاهلة والنهوض بالامم البائسة ؟

فاذا كانت القضية أكثر من استعمار - ويمكن ان نسميها
استملاك - . فان في القضية وجهة نظر .

لماذا يريدون استملاك الجزائر وشعبها - أو بلا شعبها -
أحضارتهم الرفيعة، وهم الذين لا يتميزون عن سواهم من الاناس،
أم لماملتهم المشهورة للسكان ؟.. ان كلا الصفتين تدينان فرنسا .

فليس لفرنسا تلك الصفة الحضارية التي تجملها سباقة متفوقة
على الشعب الجزائري . لأن الصفة الحضارية لا تقاس الا بنبل
الخلق وحسن المعاملة وصفاء النية ومحبة الناس بشتى أجناسهم
وملهم^(١) .. فها هو كتاب الاستجواب يلقي الضوء على

(١) وبهذا الخصوص قال غوستاف لوبون : « ما عرف
التاريخ فائحاً أرحم من العرب » . وحتى الآن لم يقل أحد
ما عرف التاريخ فائحاً أرحم من فرنسا .

ان اشارة لوبون انما هي اشارة الى سمو الاخلاق
الاسلامية ، ونبل أصلها .. فقد كانت المبادئ الاسلامية
تفتح النفوس لا البلاد .. كانت تغزو النظم الاجتماعية الجائرة
الموغلة بالظلم . كانت توحد بين الانسان في الارض قاطبة
بفكرة الايمان .. بفكرة الخضوع ، لا الى زعيم سيامي ، او
قائد مغوار .. وانما الى سلطة عليا تجعله لا يستكين الى
احكام الزعماء الظالمين وقسوتهم ، وانما الى خالق واحد .

الأساليب الهمجية التي تستعمل لقتل روح اليقظة في الجزائري المسلم ، انه يعبر أصدق التعبير عن الجهد الذي يبذل لاطفاء جذوة الذهن الجزائري .

والجلادون ، وهو المقال المصدق على ذلك ، ينوه تنويرها واضحا عن طرح الجزائريين لقيم فرنسا وثقافتها .

فأمنية الجزائريين في الاستقلال هي خير من حضارة الحجر والرقص والخلاعة ، ورغبتهم في أن ينهلوا من ذخائر التراث الاسلامي ، ليخلقوا مجتمعاتهم ، لا تفوقها رغبة .

والقضية لا تقف عند الحدود التي رسمها كاتبها الاستجواب والجلادين . فالكتابان لم يكتبتا الا النزر اليسير عن الهدف الذي تسعى اليه فرنسا .

فما لا ريب فيه ان هناك صراعاً فكرياً ، تدور رحاه في جميع أنحاء العالم ... نظام وشرائع تتلاطم وتتصارع من أجل أن تسود .

وعليه فقد يمكن التصور - أو من الواجب التصور - بأن ما يكتب عن هذا الشعب المكافح المناضل من أجل الحرية ، انما ينطبق بالتمام على شعب آخر يكافح ويناضل من أجل الحرية ، ولا يلزم من أجل ذلك سوى استعارة أسماء أبطال

القصة من بلد مكافح لاعطائها أبطال قصة أخرى عن
بلد آخر ..

فالقصة واحدة ، كما ان الانسان واحد ، وتتلخص في
انهاء عهود السيطرة والهيمنة التي يحارب بها المتفوقون
الضعفاء !!

فليس من العدل ان تقدم أمة على اسداء العون الفكري
الى أمة أخرى قسراً وقهراً وجبراً .. ان هذا الأسلوب لا شئ
وأخطر نتيجة من الأسلوب القديم .. أسلوب الفتح وتقديم
العون الاقتصادي ..

فالأقوام الحرة ، لا تتنازل عن أفكارها الخاصة بها جهد
مهندسو النظريات في النيل منها والخط من قيمتها . وبهذا
الخصوص يذكر كاتب مقال الجلادين (١)

« لا ليس التعذيب مدنياً ولا عسكرياً ولا فرنسياً على
على وجه التخصيص . انه وباء يكتسح العصر كله ، فقد عرف
الشرق والغرب جلادين ، ولا يخفي البولونيون ان الشرطية
عندهم كانت تعتمد ، قبل بوزنان (٢) الى الاستجواب ، أما ما
كان يحدث في الاتحاد السوفياتي في حياة ستالين ، فان تقرير

(١) المصدر السابق

(٢) مدينة من مدن بولونيا ، قامت بثورة ضد نظام الحكم
منذ سنوات قريبة .

خرو وشيف شاهد لا يرد على ذلك .. واليوم أتى دور قبرص
والجزائر ..

هذا رأي وجيه ، وفكرة عظيمة . فليس التعذيب الذي
يلقاه أحرار الشعوب بذى صفة مدنية وعسكرية انما هو ذو
علاقة بالانسانية . أو قل بالحياة ذاتها . فالفريقان ، من شرق
وغرب ، يستحثان الخلق على ترويض الشعوب من أجل تقبل
أنظمة الحكم التي يفرضونها ، فالغرب يدأب على ربط الشعوب
بمجلته ، لتحارب في حربه ، وتناجر في اقتصاده . والشرق
يعمل على تذويب الأقوام في بوتقة تفكيره ، ليمتزج في كيانه ،
ضاربا بذلك عرض الحائط ، كل فرصة يمكن فيها للفكر أن يناقش
مواضيع الحياة والاقتصاد والفن ، بالنسبة لافكار الأقوام
الأخرى ..

من أجل ذلك ، يمكن القول بأن القضية الجزائرية ذات
صفة تتعلق بالانسانية جملة ، لأن ما يجري فيها شبيه بما يجري
في دول أخرى تتألب على الاستعمار ..

* * *

واخيراً .. ما علاقة هذه المجموعة القصصية بذلك التحليل
الذي أوجزت في سرده ؟

إن العلاقة ولا شك واضحة ، فقصة « جسد الجمهورية »

انما هي صورة عن حياة مناضل جزائري أفنى العمر وضحي
بالنفيس في سبيل استقلال بلاده .

واليوم تشرف الامة العربية على عتبة الوحدة ، فلا بد لها
من هاد يهديها السبيل ، ولا بد لها من قائد يرد بها منهل التاريخ .
واذا كانت هذه الفكرة ألصق بمفكر سياسي أو زعيم شعبي ..
فانه من الخطأ المغالاة في ذلك ..

فالامة العربية ، ليست بحاجة الى انتصارات سياسية
فحسب .. انما هي بحاجة الى وعي ثقافي .. وعي يدلك على توقد
الذهن العربي ، أما الوعي السياسي ، فانه أدني درجة ، لان
السياسة لا تتعلق بعامه الشعب ، وانما يمارسها قلة ، على شاكلة
مديري الادارات والمؤسسات .

واذا تحرينا الحق ، وجدنا ان الامة العربية بحاجة الى
الأدب هادياً لها ، والى الفكر رائداً بها منهل التاريخ .
ان الدور في بعث الامة العربية من سباتها ، يجب ان يلعبه
الأدب .. الأدب الرفيع .. أي الشعر القومي ، والقصص
الاخلاقية ، والمقالات الروحية .

وأحسبني في هذه المجموعة ، قد سلكت ما نوهت عنه اذ
اتي أعتقد كل الاعتقاد ، بان أمتنا ليست بحاجة الا الى أدب
أخلاقي . أما الأدب الانحلالي الذي ينبغي نشر الاباحية والفسق .
فان مأواه رؤوس المستعمرين الذين يحملون رايات الاستعمار الملونة .

ع . ب

جس کے لئے ہر سہ

لفظهم الضباب فجأة ، كانوا موزعين على جانب الطريق بدون انتظام . فسادت بيننا موجة من الصمت ، وقد سكت هدير المحرك على حين غرة ، فلم نعد نسمع الا صرير الرياح وهي تخترق الجبال البعيدة التي تشبه أنف جسد يتنفس ...

وهمس الرجل المعجوز في أذني قائلا : « من هؤلاء » . فحدقت ملياً فيمن استوقفنا ثم قلت للشيخ : « لقد وصلنا حدود المنطقة . فاذا ما تخلصنا من اولئك الصماليك وصلنا الجماعة » . كانوا مدججين بالسلاح ، وكان بينهم شاب متشح رداء طويلاً وخوذة رمادية ، فسألت السائق عن حل ، ولكن وقته لم يتسع للإجابة ، فقد نزعه جندي عن المقود ثم ما لبث أن عمم أمره علينا بالنزول .

برحنا أمكنتنا .. كنا خمسة أشخاص . أنا وسائق جريء وشيخ طاعن وامرأة قبيحة الشكل وطفلة اسمها منى . كنا نمثل دور الاسرة البريئة التي أجبرتها ظروف القتال على التنقل ، ابتغاء للأمن وطلباً للطمأنينة .

ولكن الواقع أوحى لهم بالشك .. فأمرونا أن نكشف غطاء صندوق السيارة . فترددنا وتبادلنا النظرات متوجسين ..

فقد كدنا نشرف على هاوية الفشل ، فاتبعنا اسلوب
المماطلة والتلكؤ ، ولكن ذلك زاد ريبهم وقوى رغبتهم في
تمحيص أمرنا وتدقيق شأننا .

وما هو الا قليل ، حتى أخذوا يوخزوننا بالحراب ويهددوننا
بالقتل . عندئذ نزع السائق غطاء الصندوق ، ففزعوا بما شاهدوا
وذهلوا بما رأوا فأغمضوا أعينهم ثم تذاقروا متباعدين وتفرقوا
مشمزين .

أثناء ذلك إقتلعتني يد جندي من مكاني واذا بي امثل بين
يدي الضابط ، فأخذ هذا يسألني بالفرنسية .. بعضاً من اسئلة ،
فهمت فحوها ولكنني اصطنعت الجهل ، فأخذت أهز رأسي
وأقلب كفي وشفتي مما زاده قهراً وغيظاً . فعاد يقول بان لديه
معلومات بشأن سيارة تحمل الذخيرة الى المحاصرين .

ثم أضاف بانه لن ينخدع ولن يتوانى عن الضرب بيد من
حديد على أمثالنا من الأشقياء . وأخيراً قلت له بالاماءة ، بان
تلك الجثث التي انكشف عنها الغطاء ليست الا حصائد معركة
الأمس .. أبي وبعض اخوتي وابناء جيراني .. كلهم ماتوا دفاعاً
عن مقدراتهم ، فمن الواجب والحالة هذه أن تقوم بدفهم في
جوار تلك التلال المخضبة بأشجار الزيتون . ولكن الضابط لم
يصدق دعواي فأمر بتعذيبني ..

كان الضباب لا يزال ينسج ضشاوته الكثيفة بيننا ، فاستطعت
الافلات. وفي حفرة الى جانب الطريق القيت بنفسي، ثم اعتصمت
في سكون وصمت عميقين .

وانطلق الجنود في اثري ، وراحوا يبحثون ويتقصون ،
وكنت أشاهدهم من مكاني وكأنهم الأشباح .

وكان الضابط يصدر أوامره السريعة وهي ممرغة بالحق
والغيظ والغضب ، ولكنه لم يكن يحظى الا بصدى بعيد يتكسر
على السفوح .

انفت نحو اليمين ، فبدت لي السيارة وكأنها ظل رقيق .
فخطر لي ان التجي . اليها وأنطلق بها ، ولكنني تذكرت أمر
السائق والرجل الطاعن بالسن والمرأة القبيحة والطفلة الصغيرة ،
فأحجمت . وكان الجنود آنذاك يتوافدون ترى نحو ضابطهم ،
يلغونه فشلهم ويقصون حيرتهم ويزفون اخفاقهم .

وأخيراً صاح الضابط بملء صوته يندرنى بتسليم نفسي . .
فرددت السهول صوته وابتدت حجب الضباب رنته حتى ضمتها
أطراف السهول التي تموت عند سفوح التلال ؛ فلما عرف انني
لن أذعن لارادته ، أصدر أمراً بأعدام السائق والمجوز والمرأة
والطفلة مني .

أرهبتي الفكرة وأفزعتني هول نتائجها، فازدادت ضربات قلبي

وتصاعد الدم الى وجهي حاراً فترك أثراً يشبه الصفعة الشديدة ،
فترددت ، ولكني مالبثت حتى عزمت على أمر !
كان السائق شاباً لطيفاً ، كنت أعرفه منذ نعومة أظفاره
فقد نشأ في القرية نشأة اليتامى ، افتقد أبويه حينما أخلت قوات
الاحتلال القرية من سكانها .

أما الرجل العجوز ، فقد كانت حياته انموذج نضال.. افتقد
ابنه قرب وهران وكذلك والده في مدينة الجزائر ، فعاش
متنقلاً بين جماعات الثوار ، يربط بينها بالخدمة ويوثق بينها بالتفاني ،
حتى استقر في قريتنا منذ أمد وكان الزمن أحاله على التقاعد .
فلما طرحت بالأمس فكرتي على بساط البحث ، نالت اعجابه وتطوع
للقيام بأعباء المهمة .

أما المرأة ، فهي فاقدة الأبوين والزوج كأني امرأة جزائرية
عاشت في حمأة النضال وعرفت طعم الحياة التي لا هناء فيها الا
بالدفاع عن الحياض والذود عن المقدرات . وقد كانت تتمني أبداً
أن تلقى حتفها بعد أن تؤدي خدمة جليلة للوطن .

وأما مني ، وهي تلك الفتاة الصغيرة التي رافقتنا إتماماً لعناصر
التمثيلية التي جعلناها ستاراً لعملية عسكرية ، فهي ابنتي ، عرفتها
منذ نعومة أظفارها أيضاً ، فتعلقت بها وتعلقت بي . كانت أمها
قد لقيت حتفها في الحقل حينما مرت سيارة فرنسية تقل ثلة من
الجنود فسألوها أمراً شنيعاً ، فمنعهم... منعهم بكل ما كان لديها

من غيرة وشرف وإيمان وجذوة نبل وشيمة أخلاق . فبقروا
بطنها وتركوها تحت الشمس التي شهدت ذلك ، وبين أحضان
الرياح التي زارت وكأنها جسد اقشعر وبدن ارتجف .

وبعد حين أفقت من غيوبيتي .. فسمعت من جديد انذارات
الضابط تشق عنان الفضاء . فانفطر قلبي حزناً وامتلأت نفسي
كآبه . ولكنني لم أذعن .. فقد رنت في أذني صيحات ثلاثمائة
مجاهد مقيد بين الصخور بحصار مكين . انهم لا شك متلفون
الى السلاح كي ينطلقوا من عبودية ذلك الطوق الذي ضربه
الفرنسيون حولهم .

وأمنت النظر في الضباب فتكسرت حجبته وتلاشت سدوده
واذا بي أرى قافلة الأموات تساق الى حتفها . السائق ومن خلفه
الرجل المجوز ثم المرأة ومعها ابنتي منى .. آه مني ليتهم تركوها
.. بل ليتني فديتها بنفسي ، ولكن هذا لن يحل المعضلة ، ان النصر
بحاجة الى أكثر من طفلة .

وابتعدت قافلة الأموات عن أنظاري ودوى صوت الضابط
من جديد ، ولكنه لم يفلح في استمالي ، وأخيراً خاطبني السائق
بملاء صوته ورجاني ألا أذعن .. وكذلك فعل الرجل المجوز
والمرأة القبيحة الشكل . أما ابنتي منى فقد صاحت « بابا » فبكيت
وقد تلهفت لان أسمع منها مزيداً من الكلام ولكنها لم تعاود النداء
فقد سكوت ثمرها الورد الذي كنت أقبله كل مساء . أجل بكيت

كثيراً بينما كنت أتملأ نحو السيارة .

هناك وجدت حنديا يقوم على حراستها . فأمسكت عن النشيج وأفلعت عن النجيب ، ثم رميته بحجر وصعدت السيارة وجلست خلف مقودها . وقبل أن أغادر مكاني أخرجت رأسي من النافذة فرأيت ظلالاً مرصوفة الى جانب الطريق يقابلها ظلال أخرى تسدد البنادق .

وأدرت رأسي الى الأمام ، فوجدت أمامي قطرتين من الدمع تقتربان مني وكأنهما موج اليم .. ولكن النشيج ذرفها على حين غرة ، فحسبت نفسي انني بحوت من الفرق . غرق الجهاد . غرق النضال ، غرق الباحث عن قارب له فيه ملكية شرعية .

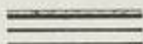
وأخيراً دوت طلقات البنادق في الأرجاء ، فأدركت محرك السيارة خلال انتشار أريزها ، فلم تنقل الرياح خبر فعلتي ، فشكرتها انها لم تخف ، انها أيضاً تجاهد من أجل الاستقلال . ولما انطلقت بالسيارة ، اخترقت حائزاً خشيباً ثم انحرفت نحو التلال .. خلال درب ملتوي .

وبعد قليل وقفت بالسيارة ثم أقفيت نظرة الى الوراء ، فشاهدت سحابة كثيفة من الضباب ، تغطي الطريق وكأنها القبر .

اما في أطراف السفوح الصعده في شموخ نحو قمم تعانق السحاب ، وفي ضفاف النهر العابس الهادر ، وفي جنبات الحقول

الباسمة ، فقد رأيت جسداً يتحرك ليأخذ مكانه تحت الشمس .
هناك نزع المجاهدون الجثث ، فأنكشف لهم السلاح . . .
فتوازعوه وانتظروا الليل . . فالليل يعمل بجانبهم من أجل
الاستقلال . . كالرياح .

وعند الأفق الذي ابقسم عن أشعة الشمس ، رأيت وجه
ابنتي . . وعبر صغير الرياح ، سمعتها تنادي . . بابا . . بابا .



هکاشت

بين الفينة والفينة ، كان يظهر عبدالمجيد على الناس بفكرة جديدة ، تهرب بعضهم وتضحك البعض الآخر .

كان عبدالمجيد - وهو يبلغ الآن الستين من العمر - من كبار تجار الورق . غير انه منذ سنين خلت ، خبا اسمه في عالم التجارة ، حتى أمسى متجره عبارة عن حانوت صغير ، يؤمه تلامذة المدارس صباح مساء ، يشتروا ما يلزمهم من دفاتر وأقلام ومساطر وما اشبه ذلك .

ويمكن ان يقال، ان عبدالمجيد، هو احد الذين زهدوا بالدنيا وسموا عن عالم الواقع ، فلا غرابة والحالة هذه ان ينحو الى حياة البساطة ، عازفا عن التجارة .. تحاشياً للغش والكذب .

وكان متجره الحالي اشبه بمنتدى ، يختلف اليه آباء التلاميذ ويفشاء بعض الشبان الذين كانوا يقضون لديه اوقات .

وقد كانت عظاته مبنية على التنبؤ بانتهاء العالم وزواله . لذلك كانت هذه الفكرة - بحداثتها - كافية لان تستهوي بعض الزبائن وارباب البيوت .

غير ان عبدالمجيد ؛ لم يكتف بزف بشرائه التي تتحدث عن اقتراب النهاية الى الكبار ، بل اخذ يدس تعاليمه بين التلامذة

الصغار . حتى طغت على الحي موجة من التلبد الفكري والقتام
الذهني بحيث خال الجميع ان شيئاً ما سيحدث في هذا الكون .
وبناء على ذلك ، فقد اصاب الاطفال الذين كانوا يتلقون
تعاليمه ، بقلوب وجلة ، مس من الذعر ، فراحوا يشاهدون
احلاماً مرعبة .

وقد هال الآباء ظهور هذه العوارض غير الطبيعية في ابنائهم
فتشاوروا فيما بينهم ، ثم عزموا على ان ينهوا الامر لدى عبد المجيد
كي يفسر لهم هذه الظواهر وكي يكف عن نشر تعاليمه بين
الاحداث .

وذهب وفد لزيارته من كبار الوجهاء ، فخطبه احدهم ،
واسمه جميل :

- نحن تقدم اليك رجاءنا ، ونفوسنا تحترق اسى على ما دعى
اطفالنا . انا نهيب بك ان تقلع عن تلك العادات التي تفسرها
بين الناشئة .

فرد عليه عبدالمجيد في شدة :

- كيف تريدني ان اقلع عن عادات مهيمنة ؟ او لم تسمع ما
حدث ايلة امس من هزات ارضية وثوران في جوف الارض ؟ .
ان الساعة آتية لا ريب فيها . .

- ذلك صحيح يا عبدالمجيد ، ونحن موقنون بان الساعة آتية
لا ريب فيها ، ولكن لا ينبغي لك ان تهددنا بها في كل آونة ،

فنحن ما زلنا نروم العيش في هدأة وسكينة ، وماذا تظننا نفعل ،
هل ترانا نجحد بنعم الله ، وهل لمست منا الموبة والردائل ؟.

— هذا حق .. ولكن سواء ا كنتم تبحنون الى الاثم ام
تعرضون عنه ، فان نهاية العالم قد اقتربت والساعة لن تبقي على
الارض فاضلا او مجرما انما ستأخذ الاثنين كأنها واحد ، وعند
الحساب تفصل بينها .

— اننا نعرف ذلك يا عبد الحميد ، ولكن لا لزوم لان تعيد
في اذهانتنا تلك الصور على الدوام .

— كيف تقول ذلك ؟ .. هل تريدنا ان ننذر على حين غرة
لا ... لا . اعلوا ايها الناس ان الحياة قد اصابها ما يصيب القلب
من وهن وضعف . فكما ان مريض القلب يتوقع الموت في كل
آونة وأخرى ، وكذلك أمسى الحال بالنسبة للحياة . فانها عرضة
لان تنقضي بين حين وآخر . فما هو رأيك في الموضوع : هل
تريد ان تفاقشنا الساعة والمجرم آخذ بخنق ضحيته ، والسارق
واضع يده على المتاع ، والعاشق ضام زوج صديقه بين ذراعيه ،
والسكير كارع كأس الخمر ، والمقامر يلعب الميسر ؟ لا .. لا ..
ان هذا الحال والله للنجس .. يجب ان يتفق الجميع على خطة ، كي
نكون على أحسن حال فيما اذا داهمتنا الساعة .

ولم ينبس جميل بدنت شفة ، بل نظر في وجوه اعضاء الوفد
نظرات حسرة وألم .. ثم قال :

— حسناً .. اننا لن نستطيع ان نهديك الصواب .

وحينما رد عليهم عبد المجيد قائلاً : « أأنا الضال وأنتم الراشدون ؟ ! » كان أعضاء الوفد قد غادروا المتجر لا يلوون على شيء .

ومضت الأيام والاسباع والشهور . دون أن تقوم للساعة قائمة . وعبد المجيد ما زال يبشر بها وينذر بها ويهدد بها . وفي ذات يوم ، وقف أمام متجره رجل بدين ، اسمه عبد السميع ، وقال له :

— ما هذا يا عبد المجيد ؟ . ان ابنتي نوال تقول انك انبأتها بأن الله سيأكلها .. فهل هذا صحيح .. ؟
فأجاب وهو يلصق غلاقات الدفاتر :
— وهل تصدق ان الله يأكل احداً ؟
— ليس غريباً أن تقول عنه انت ذلك .

— يا للغرابة ! . كيف تهمني بما انا مؤمن به اكثر منك ..
أنني أقول دائماً بأن الله سيجعل النار تأكل الاخضر واليابس وأن الدمار سيجل في الكون .. وسنرى البحار تطول علواً حتى تبلغ السحاب وستقف الانهار كأنها العمدة وسترقص كالافاعي ..
اما الجبال فانها ستتكسر ثم تميد .. .

وستصطدم المياه مع النيران ، حتى تظهر منها نار قوية ستندلع من مكان ما ، وسيصرخ الرعد في الآذان فيصمها ، وسوف

تدوي في أركان المعمورة زجرة رياح ستقلع كل ما هو قائم ،
حتى يصير كل شيء على الارض هامدا ساكنا . وثق انك معرض
الآن للموت .. فما بالك تتعظم الامور وتأخذني بالمعاناة ؟

ورضخ عبدالسميع لتعاليم عبد المجيد ، ووقعت في نفسه موقع
السحر الا انه لم يصدقها في اعماق نفسه . فسأله :

- وماذا سيحل بالاموال .. أقصد اموالي ؟

- اموالك ؟ .. ان الله لن يقبل اي انسان يحمل في جيبه نقدا

- هل يعني ذلك ان سبائك الذهب مرخصة ؟

- الذهب ؟ .. لا انه سيذوب ويغدو كالمياه وسوف يسيل

من مخابئة الحديدية رغم ارادة خازنيه

- اذن ماذا تقترح ان اصنع ؟ هل ابدل العملة الوطنية

بجنهات !

- الجنهات ؟ .. انها ستحترق كالورق .

- ما رأيك بالدولار ؟

وهنا دفع عبدالمجيد الدفاتر بعيداً وقال :

- ما هذا ايها التاجر ، انك تساوّم على اشياء بفيضة لدى الله

وبكى الرجل البدين ولطم خديه قائلاً .

- كيف تقول ان سبائك الذهب غير مرخصة انك تكذب

- تقول اني اكذب .. ياللقاحة ! ..

- اجل اقول انك تكذب ! فالخالق لا يأمر بان افترق عن
ثروتي وهو الذي هداني الي جمعها ، وشجعني على المحافظة عليها .
الا تعلم انني قضيت زهرة عمري في تحصيلها .. لا .. لا يا بني
سأبدلها بدولارات .. فالدولار اثبت قيمة من اي نقد ..

ثم غرب وهو يردد بانه سيحول ثروته الى دولارات .

وفي ذلك اليوم ، علت هامة السماء غيمة كثيفة على شكل
مخرب ، وهبت رياح عاتية اخذت تزار وهي تمضي فوق الابنية
وحلال اسلاك الهاتف ، وانتشر هزيم الرعد ثم هطلت قطرات
ساخنة من المطر .. عندئذ اعتقد الجميع بانها الساعة .

وصاح عبدالمجيد بالناس « ها هي الساعة آتية لا ريب فيها ،
فلم تعد تنفعكم توبة ايها الناس . لم تعد تنفعكم توبة .. »

وندت صرخات من النساء ، ثم الاطفال وأخذ الشيوخ
يبتهلون الى الله ان يكشف عنهم هذه الغمة . وترك الشبان لهوهم
وراحوا يقتبسون الادعية والصلوات عن الشيوخ ، وانصرفت
النساء الى جمع اطفالهن فوق صدورهن . وكف السارقون عن
السرقة ، والقتلة عن القتل ، والكاذبون عن الكذب . حتى ظن
الجميع بان عبدالمجيد قد انقصر .

غير ان السحب ما لبثت حتى تقشعت بعد ساعات من الاهوال
وظهرت الشمس تلالاً ، وسكن الهواء .. عندئذ قطع الشيوخ
صلواتهم مؤجلين مواصلتها الى اشعار آخر ، وكفت النساء عن

المويل ورحن يتزين كي يقمن بنزهتهن المعتادة في حديقة الحي ،
وكذلك ارتد الشبان الى لهوهم وغزلهم ، بعد ان التفوا فترة من
الزمن حول فوزي ، استاذ الطبيعيات في احدى الثانويات .

ورغم ان فوزي ، استاذ الطبيعيات ، قد انضم اليهم اثناء
كربتهم والنجأ في ملاجئهم ، واعتصم بحبل ابتهالاتهم وتوبتهم ،
فانه سرعان ما صرح بان تلك الظاهرة كانت عادية لا تسترعي
الانتباه . وكان قوله هذا أشد تأثيراً في نفوسهم من أقوال
عبدالمجيد الذي قضى السنوات في الاهابة بهم .

وفي المساء ، أوى عبدالمجيد الى متجره ، ميثوس القلب ،
محزون النفس وأخذ يضرع الى الله ان يعمل عملاً بسيطاً يبرهن
فيه على صدق نبوءاته .

وبينما هو كذلك ، اذ مر به عبدالسميع ، وهو يحمل محفظة
مليئة فقال له ..

- انظر يا عبدالمجيد ، لقد حولت ثروتي الى دولارات ، وفي
الغد سأودعها احد المصارف .

وضحك عبدالمجيد ثم قال .

- او تظن ان الساعة مستقوم في مكان وتنجم عن آخر ؟
وضحك عبدالسميع ، ثم اقترب من عبدالمجيد ، بعد ان وضع
محفظة النقود فوق أكداش الورق .
هل تعتقد باتي او من بساعتك ؟

- وماذا تقصد بساعتي ؟

- أقصد ان الساعة التي تعنيها أنت غير الساعة التي أعنيها
أنا ، ان الساعة في المفهوم الحديث هي الحرب الهيدروجينية التي
ستشتعل ، او لم تسمع الاخبار ؟

- كلام اسمع الاخبار

- ان الحرب الكونية على الابواب

- اذن فهذه هي الساعة ..

واشعل عبد السميع سيكارة ؛ ثم القى بعود الثقاب الذي لم
ينطفئ ، على اكداس الورق والمدفاز ، فاشتعلت بينما كان يقول :
- ان قولك هراء .. فهذه حرب لن ينالنا منها اذى .. اننا
حياديون ... هل نسيت ؟!

وانتفض عبد المجيد من مكانه مذعوراً .. ينادي مستغيثاً ،
ولكن صوته لم يطفئ السنة النيران ، تلك التي أتت على جميع
انحاء المتجر .

وهرب عبد السميع مذعوراً .. بينما راح عبد المجيد ، بوسائل
غير مجدية ، يحاول اطفاء النار ، حتى احترقت يداه وثيابه ،
فخرج من المتجر لينقذ نفسه .

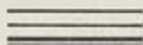
وكانت جموع غفيرة قد اجتمعت امام المتجر .. جاءوا من
كل حذب وصوب يتنادون ، وكانت صيحات من يمد تنادي ..
« كارثة .. كارثة في متجر عبد المجيد »

ووقف عبدالمجيد خارج المتجر ، ينظر الى الحرائق التي
عمت الخانوت مذهولاً مذهوشاً . وكان الناس حوله ينظرون الى
حاله بيمين الأسى .

أما عبد السميع ، فقد كان يلطم وجهه تارة ، ويتمرغ على
الارض تارة أخرى ، بعد ان ذهبت ثروته في لمح البصر طعمة
لتلك النيران الجامحة .

واخيراً وقف عبدالمجيد يقول ..

- انظروا كيف حلت الكارثة ! كذلك ستحل الساعة !
ألم أقل لكم انكم ستشاهدون النيران تأكل الأخضر واليابس فيها
هي ذي أمامكم تشبع بطنها بالدفاتر والدولارات ، تلك البطن التي
لا يشبعها شيء .. وانظروا كذلك كيف ان مياه رجال الاطفاء
تعلو وكأنها الانهار .. واسمعوها هزيم الرعد واصوات الثوران ،
انها ليسا لا اصوات الرفوف تنكسر وتهبط مع ما عليها من دفاتر
.. او اه .. حمداً ياربى ، انك نفذت مطلبي ، فانا الآن أشاهد يوم
البعث مبصراً ... وهكذا سيكون شاءوا أم أبوا ..



السياسة

ثلاثة أشياء كانت تبدو كالأشباح ، أسلاك شائكة وحارس
وسارية علم . أما البرد القارس فلم يكن يبدو في شكل . وكانت
الرياح تمصف بالخيام المضروبة على بعد من مكان حراستي .

كان الليل قد تعب من مناضلة الفسق ، فأخذت أغلاله تتحطم
وقيوده تتكسر تحت وطأة طلائع الفجر الجائحة . وكان الثلج
قد آثر الركود في غيومه البيضاء التي ترعى في السماء ، منذ
الهزيع الأخير ، فلم يعد يتهاطل على التل الصغير الذي ضربنا
فيه خيامنا .

رمت أن أسأل زميلي عصاماً بعضاً من أسئلة ، فقد سئمت
الوحدة ، ولكنتي لم أستطع ، فقد ابتعد عني منذ هنيئة . . ان
أقدامه تكسر الثلج فتحدث صريراً ناعماً يشبه المس .

ولاحت في الأفق موجة من الضباب ، خلفها ثلة من جنودنا
تدك مخفراً للأعداء ، وطلائع النهار من خلفها تمدّها بمعين القوة
الذي لا ينضب .

تذكرت في تلك اللحظة ، غشية أمي وحزنها على فرقي ،
لحظة انخرطت في صفوف المقاومة الشعبية ، ولقد قضت بعضاً
من أياها بكيني وتدنبي ، محاولة أن تثنييني عن عزمي وتردني عن
قراري ، ولكنها فشلت .

فراحت تبث للجيران آلامها وتشكو للزائرات شجوها
وأساها . فكانت تقول لهم اني ما زلت صغيراً ، ضعيف البنية
عاجزاً عن إتيان الاعمال المضنية والمهمات المرهقة . ثم ان البندقية
ثقيلة لا يتمكن منها إلا عريضو الاكتاف وأقوياء المناكب .

وتلاشت أشباح الذكرى في مخيلتي ، ، فسمعت وقع أقدام
عصام .. ياله من مسكين . إنه مريض لقد بشني ألمه منذ الغروب
ومع ذلك فانه يحمل نفسه على تأدية الواجب .

ناداني : « احمد هل تسمعني ؟ لقد بانت مياه طبرياء ، ياله من
صبح جميل » وبدأ الثلج يتهاطل ، فبرحت مكاني واقتربت منه ثم
قلت : « عصام كيف حالك ؟ اصغ إلي لقد تذكرت أمي ، يا الله ما
أشد حزنها . لقد زارنا ذات مرة وفد من وجهاء الحي وطلبوا
من والدتي ألا تقف حائلًا بيني وبين تطوعي في منظمات المقاومة
الشعبية . ولكن أتعلم ما ذا صنعت بي ليلئذ ؟ لقد حجرتني في
دولاب الملابس . ولكن ذلك لم يحل دون تمردي على حبال
العطف التي شدتني بها الى صدرها ، فقد هربت في الليلة التالية
واشتركت مع المقاومين في حراسة خزانات المياه ، لقد كان
تصرف والدتي تعدياً على الحقوق العامة ، فناقشها أهالي الحي بذلك
وأدخلوا في يقينها ان العطف الأبوي ليس هو هذا الابداع
والتفنن في اظهار الاستماتة في الحفاظ على الابن من النوائب والغير
كما ان الحرص الكلي لا يدفع عنه الاوصاب والشرور ، وانما

هناك حق عام في كل مرة يهدد فيها أمن الوطن . وأخيراً . .
 رضخت، ولكنها أخذت تصحبنى في مهاتي ، ومجلس بعيداً عني .
 وفي ذات ليلة عادت الى البيت فوجدته خاوياً على عروشه . فجن
 جنونها وضاع صوابها وراحت تكيل التهم للناس والعتاب للجيران
 لانهم في زعمها كانوا سبباً في سرقة بيتنا ، وقد اتهمتهم وقتئذ
 بانهم لا شاغل لهم الا دفع سواهم للتطوع والقتال ، وما أشبه ذلك ،
 أما هم فانهم يوصدون الابواب دون أولادهم ساعة تنزل النازلة
 وتحل الكارثة ، ولكن ذلك لم يرد لنا أثاث البيت . وأذكر أن
 جارنا عبدالعزيز قال لأخي : « ان الذي سلب أثاث منزلك يا أم
 أحمد هو بالقياس للوطن ، ذلك الطامع الغادر الذي يدور في
 خلدك أن يدخل الوطن من أبوابه الواسعة ، لحظة ينام حراسه
 ويتشاغل ساكنوه . انه يود أن يسرق ما سرق السارق من
 منزلك ، واذا كان أثاث بيتك مديعاً وطنافس وطاولات وأرائك
 وقدوراً واطباقاً، فإن انتاج الوطن هو هذا الانتاج الخصب ،
 وهو هذه المقائد المثالية وهو تلك الاجيال الكريمة التي ولدت
 في هذا العصر من أب أصيل هو الوطن وأم عريقة هي العقيدة » .

هذا ما قاله جارنا عبدالعزيز . عندئذ أقلمت أُمي عن مرافقتي
 في كل مرة أذهب فيها لتأدية واجبي ، ولشد ما تأثرت من بادرة
 جارنا ، فلقد وضع لي قوله بالسداد ، وبأن لي شرحه بالرشاد .
 ففكرت ملياً فيما تصنع النفوس اذا ما فكرت ، وما تؤول الاحوال

إذا ما انتظمت ، فانخرطت في صفوف الجيش العامل كي أكون
حارساً لوطني بل ولمنزي .

ولما أمسكت عن الحديث . كان النور قد طغى على البحيرة .
فانفجر عصام ضاحكاً ثم قال ، وعيناه ساهمتان في طبريا .
« انظر انهم توافدوا من كل قطر وحملوا انفسهم من كل حذب
وصوب ، حتى ازدحم بهم المكان فابتغوا الوسعة واراودوا التمدد ،
ولكن لم يخطر ببالهم ان السياج حولهم سيصمد وان القيود
لاطاعهم ستقيدهم عن التنفس .. اكتب لوالدتك يا احمد تقلاً
عن لساني ، وقل لها انه في حال جسامة الحق الضائع يجب ان
يصغر اعتبار قيمة الضحايا ، فالارض التي تذهب هباء هي من
القيمة بحيث يترتب على الناس ألا يعدوا الابناء تعداداً حين
يقدّمونهم قرايين لانتزاع الحق المسلوب .

ولما أمسك عن الحديث سأنته « أشعر بالبرد يا عصام ؟ » .
فأجاب : « قليلاً » . فأردفت : « اذن اليك معطفي ، خذ
أرجوك .. » . فأجاب وفكاه يصطكان من البرد : « اذن فسيقضي
عليك . كلا .. كلا .. » .

ولما هممت بدفعه اليه ، سمعنا صوت رئيس الحرس ينهنا ،
ففرقتنا لهجة صوته العاتية ، فابتعد عني ووقف غير بعيد ، بحيث
غدا كالظل .. الظل المعتمد عن شخص غير موجود .
بدأ الفجر يقوض دعائم الليل . وكان في الأفق بقايا ضباب

تقشعت عن تلامييح البحيرة المغصوبة . أما أذبال الليل فقد أخذت
تنحسر عن المعسكر هاربة من ضوضاء الخنود .

نظرت حولي ، وإذا بعصام متجمد متمسك ، دنوت منه فأغر
الفم مذهولاً ، وناديت به فلم يجب ، وهزته فلم يتحرك ، كان ثابتاً
كالصخرة النائية من جبل ، وجهه عابس مشحون بالآلم الذي مات
مفعوله ، وبالبرد الذي خبت برودته حتى انفقدت . وكانت عيناه
غائرتين ، وأهدابها مليئة بهباب الثلج اللافح ، وأما أنظار حدقتيه
فقد كانت منصبة على شواطئ طبريا ، وقدماء مدفونتين في الثلج
وبندقية قد غدت كفصن شجرة تكثف فوقه ثلج الليل .

ثلاثة أشياء كانت تبدو كالاشباح . أسلاك شائكة وحارس
وسارية علم . لما واريناه اترى كتبت أقول .

« نقلاً عن لسانه ، ذلك الوطني المجهول الذي هو أحياناً
أنا وأحياناً شخص آخر ، نقلاً عن لسانه أقول . إنه في حال
جسامة الحق الضائع يجب أن يصفر اعتبار قيمة الضحايا ، فالارض
التي تذهب هباءاً هي من القيمة بحيث يترتب على جميع الناس أن لا
يعدوا الالبناء تعداداً حين يقدمونهم قرايين لانتزاع الحق المسلوب .
ولما قال لي ذلك يا أمنا سألته . « أتشعر بالبرد يا عصام ؟ » فأجاب
« قليلاً » . فحاولت أن أدفع اليه معطفي ولكنه قال « إذن فسيقضى
عليك . أي أن المعضلة ظلت بلا حل » . وبعد ذلك بقليل ، طلع
الفجر .. وداعاً . ان عصام هو أنا بل هو كل فرد شجاع » .

انسان کی کسوٹی

أرسل الراعي أنعام نايه في أفق الحقل ، فرددتها ضفاف
النهر ، وصدتها أطراف السفوح المخضرة ؛ فأقمت الأُغنام صاغية
خاشعة ، وتسلمى الكلب منحدرأ ، ثم جلس مشنف الأُذنين .
وكانت شمس الأصيل تترقرق في الأفق وكأنها دمعة ،
والأعشاب الخضراء تتلاثم وكأنها الفتية المبكرة الشباب .

وأما النهر ، فكان يجري في انبثاد ، وكأنه أب جليل
تقدمت به السن . وكان في الحقل المجاور حمار يرعى الكلال ،
ما عثم حتى انجذب نحو الناي انجذاباً وثيداً . فمر بالنهر شارباً ،
ثم قصد حانة ذلك الراعي .. تلك الحانة التي كان خمرها نسيم
عليل ، ومجالسها صخور مريجة ، وموسيقاها أنعام ناي تنفطر
لها القلوب ؛ وأما جلساؤها فخراف ونعاج .

لم يقصد الراعي أن يثير في مخيلة حيواناته أنواعاً من المشاعر ،
أو أن يرسم في أذهانها أنماطاً من الميول الراقية التي تسكن في
حنايا المخلوقات ، كما فعل في عصر ما كل من بيتهوفن وشوبان
وفاغنر ومندلسون وغيرهم . إنما كان يعزف اغنيات قروية ، ثم
أحياناً شائعة ، حتى إذا ما غضب معينها ، تفخ بما يمليه عليه هواء

وعزف ما يأخذ عليه لبه . والجمار ، كما يبدو ، ثم بل براح الانقام
فأخذ يعبر انتباهه الى الحالات التي تتغير فيها الالخان ، حتى
اسمى بجمل ما سمعه بلحن الذكرى .

وفي بحر الذكرى استغرق يحلل ما في جنباته من لوايح ،
وما في صدره من آلام واكدار .

وذكراه ، هي ذكرى الصناديق والاثقال والطرود والعصا
والعود . . ذكرى صاحبه الذي يحقد عليه كل الحقد لسبب
لا يعرفه .

وأخيراً تساءل عن السعادة والبهجة ، واشتاق لأن يعرف
كما يعزف هذا الراعي ، وتمنى أن ينام مثلما ينام صاحبه ، وأن
يرفد في السعادة كما يرفد الانسان ، وأن يأكل المتنوعات من
الاطعمة كما تأكل باقي المخلوقات . ولكنه لم يجد لمصلته حلاً . الى
أن تقلبت الالخان في الناي تترى . عندئذ أحس بحزaze القلب ،
لأنه لا يعرف الحب ولا العشق الرقيق ، كما أنه يجهل ما في كنه
أحاديث الناس من معنى حين يتكلمون عن ثقافة الجاحظ وحكمة
المعري ورقة البحري وإرادة المعري وبراعة همغواي وخيال
داتي وفكاهات فولتر وحجة روسو وشاعرية غوته وكبرياء
بارون .

انه لا يعرف هؤلاء وبماذا يتصفون ، ولم يكتر الحديث عنهم
فان كانوا كما يقول الناس عنهم ، ينظمون علاقات البشر ،

فيغالبون الانحرافات حتى تدين ، ويقومون دفعة السفينة حتى
تستقيم ، ويدفعون بالركب البشري حتى يسير ، ويشذبون العلاقات
حتى تليق ، ويهذبون النفوس حتى تلين ، فان شيئاً من هذا لا
يوجد في بني جنسه .

عندئذ قال في ذاته : «لهذا لا أستطيع أن أعزف في الناي ،
لا عبر عن مشاعري ، كما أنني لا أستطيع أن أقول كما قال الكتاب
والفلاسفة .. فأين ذلك الناي الذي به يمكن أن أنفخ ؟ .. وأين
تلك المكتبات العامة التي آوت حميراً للمطالعة ، بل أين الكتب
التي كتب فيها حكماء الحمير . إن شيئاً من هذا لم يحدث في تاريخ
الخلقة .. أوأه ما أفدح الأمر !!. إن التعاسة حتمية ، وهي لا
شك نتيجة طبيعية لاختلاف صفات الأنواع وتباين أشكال
أعضائها . وهي ليست عفوية كما يزعمون ، بل ذات مصدر دفاق
ومعين لا يفضب ؛ وحكمة ذلك ، تنظيم كوني ، واتساق بشري
وترتيب حيوي . لهذا فان الناي الذي يمكن أن أنفخ فيه
مكسور

بعد لحظة ، حضر صاحبه ، فأخذ يعنف الراعي ويوبخه متهماً
إياه باستجذاب حماره ، بغية الافادة منه في حمل الاثقال وقضاء
الحاجات . فلما ان حدث ذلك ، اغتاز الحمار من مسلك صاحبه
وعدّ تأنيبه للراعي ، تجاوزاً على حدود الادب ، وتطاولاً على
حدود اللياقة . فقرر أن يصنع شيئاً يحد من كبرياء صاحبه

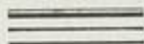
وانقصة نفسه ، خصوصاً بعد ان أذل الراعي البريء وانتهك
حرمة نفسه .. فالراعي في نظر الحمار عنصر قبيح من الانسان .
كالمادة الخام ، التي تحول بالرياء الى أشياء وأشياء ، وحينما ابتداء
الصراع ، اضطر الراعي للدفاع عن نفسه ، فضرب الرجل بالناي
فانكسر ولم يعد يعزف .

بكى الحمار دون ان يزرف الدموع ، ونهض من مكانه يائساً
حزيناً على الناي الذي انكسر .. ففكر ملياً في ذاته ثم قال :

إن نايانا نحن الحخير مكسور باذن من الطبيعة ، . أما انتم
أيها الناس فلماذا تكسرون نايكم بأيديكم ؟ كيف ستغنون . ؟ ..
كيف ستمرحون ؟ كيف ستعيشون بدون غناء . ؟ . أو اه لو لم
اكن أبكم .. اشرحت لكم آلاف النقائص . لا . لا ، يجب أن
أتولى ذلك الأمر بذاتي .. يجب أن أقضي عليك يا صاحبي لأنك
تثير الفزع والفوضى .. سترى مبلغ ذكائي إذا ما أمسكت بزمام
الأمور . سأجعلك حماري . وأكون صاحبك . وسأتحدث كما
تحدثون .. سأحدث عن جاحظ في قومنا وبحتري وروسو
وهمنغواي وسنكر لويس في جنسنا . بعد عصر من الزمن ،
سنفتتح مكتبات عامة ، ونزوج كتبنا ، ونعمم فلسفتنا ، حلاً
للنزاع بينكم ..

وامتوقفه الشجار بين صاحبه والراعي ، عن المناقشة . ثم

جعل يفكر في وسيلة ينتقم بها للراعي ، فاستدار نحو الخلف ،
ورفس برجليه ، فأصاب الراعي في وجهه بدل صاحبه . فانطرح
الراعي جانب غماته الوديسة مغشياً عليه ، عقدت ربت صاحب
الحمار على ظهره ثم ركبه ، ورحل .



الحقیقت و السری

أمسك المخرج أحمد يد جميلة ، ثم قربها من صدره قائلاً :
— هكذا يجب أن يكون انفعالك ، يجب أن تجذبني يد
عشيقك جذباً قوياً ثم تقولي له .. يا حبيبي سواء أ كنت غائباً أم
حاضراً ، فإنك دوماً لا تبرح خيالي .

ولما أمسك عن الكلام ، ألقى طرفه في وجهها ثم أردف :
— عليك أن تظهر لي كل مظاهر الحب ، كي تستحوذني
الاعجاب .

شعرت جميلة بأن المخرج أحمد لا يروم تلقينها حركات التمثيل
بنية سليمة . فأخذت تتوجس منه ، فلما أن أحس بأنها شعرت
بمحاولاته سألها :

— مالك ترأين مني ؟ .

فأجابته بصوت مخنوق :

— يخال لي أنك تريد افتراسي .

لم ينبس أحمد ببنت شفة ، بل ابتعد عنها ، ثم خاطبها قائلاً :

— هذا صحيح .. ولكن تقي أنني أحبك .

ذهلت جميلة ذهولاً شديداً حينما سمعت كلمة « أحبك » ،

فاستدارت نحوه ثم قالت !

- ماذا تقول ؟ .
- أقول أنني أحبك .
- أقول أنك تحبني .. هيه .
- أتضحكين ؟ .
- بل أسخر .
- ومن أي شيء تسخرين ؟ .
- أسخر من هذا الحب .
- وهل في الحب سخرية .
- أجل . أو لم تحب الممثلة سعاد قبلي ، ألا تتذكر كيف هربت من جحيمك ؛ إنك قلت لها ذات الكلمة التي قلتها لي :
- ولكنني أحبيتك أكثر منها .
- هذا هراء .. ثم ما هي نهاية الحب ؟ .
- وهل تعتقدين أن للحب نهاية ؟ .
- لا تتفلسف أرجوك ، ان كنت تنوي مني الزواج ، فأنا متزوجة كما تعلم ، وان زوجي خارج هذه الحجرة ينتظري ، ولي أولاد صغار .
- هذا صحيح ، ولكن ما علاقة الحب بالزواج ؟ .
- إذن ، بأية علاقة يتعلق الحب ؟
- لا أعرف ماذا تقصدين . !
- أقصد ، هل الحب هو هذه السرقة التي تسرقها من

خلف رباط الزواج . .

أنا أعرف أنكم معشر المخرجين ، تريدون أن تكون الممثلات
لكم ، تفعلون بهن ما تشاؤون ، بل تريدون أن يدعرن أسحر
مواهبكم ، جميع فتيات المجتمع . من أجل هذا ينحط الفن .

— ما هذا . ما هذا ؟ . إنك تخجرفين ، لقد أقسمت لك
بشرفي أتني أحبك .

— وأني شرف تقصد . . لو أنك تعرف للشرف معنى ، لحفظت
عفتي .

— أتعلمين بشرفي أيها المنحطة ؟ ..

دوت هذه الكلمات في أذني جميلة دويًا هائلًا ، فقالت بصوت
يخنفه النشيج :

— أصبحت الآن منحطة ، ومنذ حين كنت عشيقتك .

— ذلك لأنك لا تؤمنين بالحب .

سكتت جميلة عن الجواب ، فاقترب منها أحمد ، وطوقها بين
ذراعيه ، ثم طبع قبلة حارة على شفيتها ، دون أن يلقي منها أية
مقاومة ، كما كانت تفعل في الماضي . فمجب من شأنها . ولكنه
ما لبث حتى راح يدفع عنها ذلك التفكير الذي غرقت في لجته
بعد أن سمحت له بتقييمها ، فقال :

— ستكون هذه القبلة ، كما تعلمين ، نهاية الفصل الأول ،

إنها ولا شك ستنتزع إعجاب النظارة .

ظلت جميلة واجمة مذهولة ، فسألها المخرج .

— ماذا ألم بك يا حبيبي ؟ .

فأجابت ، وطرفها ساء في الأرض .

— لا شيء .

— إذن ، بأي شيء تفكرين ؟ .

— أفكر بالانتصار الذي أحرزته .

— هذا لا يستحق مثل هذا الاغراق في التفكير ، فأنت

إنما أفصحت عن قلبك الواسع ، وعاطفتك الجياشة باستسلامك

لي . ان حبنا ، في الواقع ، تولد في صالح الفن .

— كلا أيها المخرج الموقر !! . أرجو ألا يدور في خلدك ،

أنني أذعنت إليك بقصد اعلاء شأن الفن . فالفن ليس

هو تلك الستارة التي تسدل على المآسى والفضائح ، إنما كنت ،

وأنا بين ذراعيك أنصور رغيف الخبز الذي ستحرمني إياه في

حال صدك .

فرد المخرج في شيء من الحرج :

— هذا شيء يؤسف له ، ولكن لا خير في أن تزعمي ذلك .

فهما فندت الأمر ، فأنا أحبك .

قالت جميلة في ذاتها : « أنت كاذب » ثم أطرقت رأسها ، بعد

أن شعرت ، بوطأة اكليل الذل يثقله .

أثناء ذلك ، ناولها المخرج سكيناً ، ثم قال :

— لنقم بتجربة الفصل الأخير .

.. عشيقك خالك ، وأنت حاقدة عليه . انه الآن واقف قبالة

صورة معلقة على الجدار ، هيا .

وأمسك عن الكلام ، ثم وقف قبالة صورة معلقة الى جانب

باب الحجرة ، وقال مخاطباً جميلة . !

— أقول . وبينما هو لاه بمنظر صورة معلقة ، تنقضين عليه

بالمدينة . هيا . هيا .

وانقضت جميلة تظعن ظهر المخرج بشراسة . ولكن المدينة -

وهي مصنوعة من المطاط - اعوجت ، ونجا العاشق الخائن من

العقاب . ثم استدار نحوها يقول :

— أنت تعلمين ، أنني جعلت الموضوع اجتماعياً ، يتعلق

بالأخلاق ونظام المجتمع ؛ فالناس سيفيدون منه فائدة لاتضارها

حكم الحكماء ، او أفكار الفلاسفة ، ان غاية الفنان هي تقويم

المجتمع ، وتلقينه مبادئ الأخلاق، والتربية المثالية . مقامه ك مقام

السياسي ، فهذا يحكم الرعية ، وذاك يحكم الاهواء .

كانت جميلة تصغي الى حديث المخرج ، في شيء من الميض .

فهو يتحدثها عن العفة والشهامة والكرامة ، ثم يحيد بنفسه عن

احترام تلك القيم .

كانت صالة المسرح تغص بالنظارة . وكانت أنغام الموسيقى

تنتشر في انحاء الصالة إذاناً بافتتاح الستار . أما المخرج أحمد ،
فقد وقف وقتئذ خلف الكواليس يهيء نفسه للظهور . ومن
خلفه جميلة مزعمة أن تقتفي أثره .

ولما ان ارتفع الستار ، ثم انتهى الفصل الاول بقبلة حارة ،
طبعها المخرج أحمد على شفطي جميلة ، صفق الناس اعجاباً وافتخاراً
برقي الفن .

ولما أن كان الفصل الاخير . وقف أحمد قبالة صورة معلقة
على الجدار ؛ أثناء ذلك انقضت جميلة بالسكين ، لتقتل عشيقها
الذي خانها . غير ان السكين ، في هذه المرة ، لم تعوج .
واندمت من أفواه المتفرجين ، صيحات مدوية ، وتعال
الاصوات . « مجرمة .. قاتلة .. »

وساد الناس هرج ومرج . وهب بعض الممثلين فأمسكوا
بالممثلة ، بينما راح المخرج يصرخ متألماً .
عندئذ نادى جميلة بملء صوتها :

- دعوني . دعوني ، لقد قدمت للناس الثمرة التي يريدونها
وسرعان ما اختفت الاصوات والجلبة ، وراح الجميع يصيحون
السمع الى جميلة وهي تقول :

- لقد كان المخرج يعمل على أن يقدم اليكم حكمة تقتدون
بها ، ولكنه وبإل للأسف ، كان لا يؤمن بتلك الحكمة . ان
التمثيلية جديرة بأن تنهي كما أنهيتها . وهذه هي الحقيقة ، فلو أنني

طعنت عشيقتي بسكين من مطاط ، لذهبتن انتم الى مخادعكم دون
ان يبلغ الموضوع الاجتماعي من نفوسكم مبلغاً عميقاً . أما الآن
فان الموضوع جدير بأن يؤثر في نفوسكم الاثر الصحيح ، لانكم
ستعلمون بأنه من الجائز أن تقوم أية معشوقة بطعن عشيقها
بسكين معدني . عندئذ ستلقون أنفسكم نتيجة الخيانة . وبذلك
تشعرون بالحقيقة المرة التي تكرهونها إذا ما مست ذات أنفسكم ،
إن المسرح الذي كنتم تلقون عنه تعاليم الفضيلة ، إنما كان يخلق
في نفوسكم أصول الفوضى ، لأنه كان يشعركم بحوادث قلما تحدث ،
ونائج حتما لا تحدث . وان حدثت فان حدوثها يكون صورياً ،
لأن هذا الحدث هو التمثيل الذي تعلمون باطنه . من أجل هذا
كان الفن مقصراً في تهذيب القلوب ، والمسرح عاجزاً عن تقويم
النفوس . وبما أنني كنت بطلة هذه الرواية فإني أقدمت على اختتام
الموضوع ، كما تقتضي الحقيقة أن يختتم ، لا كما يقتضي المسرح .
اذ أنني في الحقيقة كنت معشوقة لهذا المخرج الذي يعرف أنني
متزوجة ولي أولاد ..

فسلوه .. سلوه ، كيف يريد أن يثبت فيكم مكارم الأخلاق ،
وهو الذي لا يعرف ما هي الأخلاق .. ان هذه الثلمات تظهر في
مجالات عدة .. في السياسة .. وفي الفن .. وفي الأدب .. وفي
التعليم .. فطالبوا بحقوقكم أيها الناس .. حقوقكم التي يتقادفونها
دون أن يعملوا على تركيزها .. وكل من يقول بأنه صادق في عمله
مخلص في قوله .. قولوا له أنت الماكر ..

فتح المخرج عينيه في المستشفى ، وسأل من حوله عن جميلة
فأجابوه أنها سجيئة . عندئذ قال لهم :

— انها لا تستحق ، لقد علمتي هذه المرأة الشريفة كنه
الحقيقة .. الحقيقة يجب أن ترادف المسرح ، انني أنازل عن
حقي في مقاضاتها .. إنها لا تستحق .. انها لا تستحق » .

ثم استدار نحو الممرضة وسألها :

— هل ستطول إقامتي في هذا المستشفى .

فأجابته وعلى ثغرها ابتسامة :

— بضع أيام أخرى .



الأشجار الفاضلة

اصبح البستان في لجة من الظلام ، منذ بدء الأمسية . حين
نامت الطفلة الصغيرة ، ناعمة البال . وهي لا تدري أن والدها
أطفأ النهار ، وقاوم شروق القمر ، من خلف الربى الخضراء ..
فمنذ أن مالت الشمس نحو المغيّب ، شعرت جماعة العصافير
بمحلول المأساة ، فرحلت الى الاسوار . وكذلك الفراشات ،
فقد طوت أجنحتها ، وسكنت هناك . . على أكوام من الحجر
الميت ، في انتظار القمر . أما الأشجار والأزهار والجداول
فقد أطرقت سماهة وجلة .

كانت أرض البستان خالية ؛ لا يسير فيها إلا أوراق من
أشجار الصفصاف المصفرة ، ولا يسمع فيها إلا أنين محرق ،
يهوي من قمم أشجار الحور السامقة . وكانت الجداول ، تهرب
باكية من أشباح الشياطين ، التي ظهرت بتأثير حلول الظلام
واحتجاب القمر .

وعند الغسق ، نهضت الفتاة الصغيرة من نومها ، تريد أن
تجري في البستان كشأنها في كل صباح . غير ان الظلام بدا لها
هذه المرة كالحدار ، والغسق الذي أملت برؤيته يتسم عندسياج
البستان ، لم يكن الا ومضأة من غسق الأمس ، هرب من
مخيلتها ، صبيحة هذا اليوم .

عندئذ اضطرم الجزع في جنباتها ، واعترتها هزات عنيفة
دوت في أوصالها . فتذكرت أن والدها الذي أخذ يعاملها بقسوة
وعنف ، إنما قصد أن يحرمها من التجوال بين الأشجار .

كانت تلك الفعلة المشؤومة ، حرماناً لحقوقها ، وحداً من
حريتها ، فهي فتاة ناشئة أحبت الأشجار والأزهار ، أكثر من
أيها ، فالأزهار كانت تبعث الراحة في قلبها ، كلما تأملت في
روعة جمالها ودقة صنعها ، أما والدها ، فقد كان يبعث في قلبها
الذعر والفزع ، كلما التقت أنظارها بعينه . وهي لا تستطيع أن
تذكر مبعث هذه البغضاء إلا في شيء من المشقة ، فهي تشعر
بأنها كسبت كراهية أبيها منذ عشر سنوات ، حينما أخذت
تؤثر الزهفة في ضوء القمر .. في غصّة الليل المتعثر في سيولة
النهار الطويل ، تستلهم مبادئ الحياة من طبيعة هذه المخلوقات
الساخرة الطيبة القلب .

كانت الأشجار ، زميلات لها ، وكذلك الزهرات والفراشات
والفراشات ، وحتى النمل . كلها كانت بالقياس إليها ، كالجماعات
الساعية الى حياة فضلى .. حياة ملؤها الحرية والكرامة
والسعادة .

أفليست الأزهار ، تستبطن الحياة من زميلاتها الهواء ؟ أو ليس
الهواء يستعيب عن مدفوعاته ، روائح عبقة يعطر بها الجو ،
وأفكار زكية ملونة معة طرفة من مجتمع تلك الأزهار .

والاشجار الباسقة ، من حور وصفصاف وصنوبر ودلب ،
تلك القديسات الشائحات ، في فضاء الحرية ، ألسن كالألمهات
اللاتي يحدن ، على الأعشاب والنباتات الصغيرة ، تلك التي تبني
أنفسها في عباب الهواء الزميل . والجداول الطروبة التي تغني
على ايقاع حفيف الشجر ، وزقزقة العصافير ، ليست هي الرحيق
الأزلي لمفهوم الصداقة المستتبّة بين التراب وسكان البستان .

اذن أين تستطيع هذه الفتاة الصغيرة أن تلمس مثل هذا
الاحلاص . انها عهدت في هذه الطبيعة أمأ وأبأ . وقد كانت لغة
النظر أجدى تأثيراً في نفسها ، من لغة والدها الحكيم الذي يحفظ
كل شيء ، ويعرف كل شيء .



نهضت الطفلة الصغيرة من فراشها لتفاوض القمر على العودة ،
فلما أن فتحت باب الغرفة ، واجهتها جحافل الظلام .

كان كل شيء غائباً . فليس هناك حقيقة ، انما هناك ظلم
وجور ، يرتعان في أنحاء البستان .

ونادت الطفلة القمر أن يعود ، ولكنه أبى .. فكتبت له على
متن نسمة من ريح تقول :

« مصباح الحرية ينطفأ عادة بالقرب من الاغلال ، فها انتذا
متربع في كبد السماء ، دون أن أراك ، والحرية أبداً موجودة ،

انما بعيدة عن تناول الفهم . . .

كانت جحافل السحب ، تتلاحق في السماء ، وهي تزار ثم تمضي .. كأنها قطعات وحشود من جيوش عسكرت في الفضاء ، لتحارب فسحة ، ولتشوه معناه الذي يوسم النفوس ويطبها بطابع الحرية والايان .

وكان الهواء الذي ألف زيارة الأزهار ، قد بدأ يعوي غاضباً ، لحرمانه من روائح حبيبانه الزكية التي تحولت الى رائحة دم مهدور .

اما الجداول ، فقد بدلت من لهجتها . فلم تعد تشبه في شيء أغنياتها الشجية القديمة . انما أمست صدى أصوات سلاسل الحديد ، وانعكاساً لفحيح الأغلال التي تجرها المياه المقيدة ، وهي ذاهبة الى العدم .

أما الأشجار الكبيرة ، فقد انقلب صوتها الرشيد الرصين الى صيحات ألم ، وصرخات استغاثة .

أحست الفتاة ، التي عاشت في هذا البستان أكثر من عشر سنوات بما يدور في انحنائه . فأعلنت غضبها وتبرمها . وأخذت تتجول بين مساكب الورود المخملية ، تتلسمها . وبين النباتات المورقة تقبلها . وحول جذوع أشجار الصنوبر والصفصاف والكرز تطوقها .

عندئذ قالت الأشجار الفاضلة للفتاة : « اننا نطلب الضياء

فالحرية خبزنا .. هيا كوني وسيطة بيننا وبين والدك .. »
ذهبت الفتاة الى أبيها ، لترغمه على تمزيق الأحكام التي
أصدرها بحق القمر . ولكن الظلام كان كالجدار .. فلما نادته
بصوتها المرتعش ، ألقته سجيناً في قفص بناء بساعديه دون ان
يستطيع السكن خارجه !

فلما ان عجزت عن اتقاذه ، عادت محزونة النفس . ولكن
وردة حمراء قانية همست في أذنها : « أيتها المخلصة : لماذا لا
تحويلين الى وردة مثلي فتقاطعين بذلك والدك الجحود .. »
وخطبتها أخرى : « أنت لي خير آنية ، فيها الي .. »

وسمعت صوت الجدول : « تعالي أيتها الحبيبة .. إنني كنت
أحبك كثيراً ، ألا تذكرين كيف كنت تخوضين بساقيك في
مائي .. فلا أعدر بك .. »

وأخيراً سمعت الأشجار الفاضلة تقول .. « لقد قررنا أن
نجملك من جنسنا .. فأنت تحبين الحرية .. وإن تجديها إلا في
الأرض ، تمتصينها من التراب .. »

عندئذ اقتربت نحو الجدول . كان خريره مؤثراً ومحزناً .
فأودعت في مائه جسدها الصغير ، واستسلمت لموجاته الباكية .

أخذت تتخيل انبثاق نور القمر ، بل أخذت تتوقع ان
تري ضيائه ، ولكن الظلام لم ينشق عن ومضة ضياء ، عندئذ

أخذت تشعر ، والموجات تغمر أنفها الصغير ، وثغرها الجميل ،
أنها أمست قطعة منه ، فأيقنت قبل أن تموت . أن الظلام يصنع
بلونه الحالك كل شيء . تحذله الظروف في نشدان الحرية .

شاهدت الشمس في اليوم الثاني ، فتاة ملقاة على ضفة الجدول .
شعرها المبلل يغطي وجهها . . وثوبها الزاهي ملوث بالوحل . .
وحذاؤها الصغير ، معلق بأغصان مشبوكة على الضفة .
ولما أن تقدم أبوها وجماعة من رفاقه نحو النهر ، يبحثون
عنها ، تحولت الى غصن شجرة مكسور .



الوجيه

وقف ابراهيم أمام مدخل مبنى الشركة، يهيا نفسه وينفض الغبار عن كتفه ، استعداداً لمقابلة المدير .

صعد السلم في أناة ، وكان وقع أقدامه يوحى بأنه أحد المفتشين الذين جرت عاداتهم على اظهار الهيبة والوقار بمشية رصينه تلقي في القلوب الروع والمهابة .

ورغم ان السلم كان يغص بالموظفين الذين كانوا ينهبون الدرج في صعودهم إنهاياً ، وايديهم محملة بالأوراق والتقارير والاستمارات ، فان ابراهيم ظل يصعد مستأنياً . حتى أن مشيته الهادئة استرعت انتباه أولئك الموظفين ، فراحوا يتهامون فيما بينهم عن حقيقة هذا الشخص الذي انتهى اليهم في ساعة مبكرة من هذا النهار ..

وما هي إلا فترة وجيزة ، حتى سرت شائمة بين الموظفين ، مفادها أن هذا الزائر ليس الا ذلك الموفد الرسمي الذي أوفده مجلس الادارة ، بعد انعقاده في العاصمة ، منذ اسبوع ، وذلك للتحقيق في قضية الاختلاس التي تناولتها الصحف بالتمديد والتقرير .

ووصل الخبير بهذا المعنى الى المسؤولين في الطابق الرابع

قبل أن يصل ابراهيم اليه ، فطفق وكيل المدير لتوه يلفت نظر الموظفين ويحثهم على تنظيم أمورهم . ولكن القلق ساوره حينما تذكر أن الخادم الذي يقوم على خدمة الطابق الرابع قد قدم استقالته يوم أمس ، وتعنى لو أنه كان موجوداً على رأس عمله ، كي يقوم على تنظيف أرض البهو ومسح الطاولات وغير ذلك .

ولما وصل ابراهيم آخر الدرج ، وقف في البهو ، ثم بدأ يحيل الطرف في انحنائه ، وكأنه يتفقد النظافة .

وكان وكيل المدير يراقبه من ثقب الباب ، فيبدي اعجابه ببذاته الجديدة ، وحذائه النظيف ، وعقدة عنقه الاثنية ، وياقة قميصه المنشأة ، وشاربيه المنسقين ، وسماوات وجهه الصارمة التي تدل على سداد في الرأي ، وبعد في النظر ونفاذ في المعرفة ، مما ألقى في قلبه الروع والمهابة .

وبينما هو كذلك . هرع الى الهاتف واتصل بالمدير ، وسأله حلاً للورطة التي وقع فيها . خصوصاً وأن أغلب الموظفين غائبون ، وجل الامور اليومية ما زالت معلقة بلا حل ، والموفد الذي كانوا يتوقعون حضوره بين الفينة والأخرى ، قد قيس له ان يحضر في ساعة مبكرة .

سمع المدير هذه العاصفة من الكلام في شيء من الوجس والقلق ، ولكنه لم يلبث حتى خفف المصاب عن نفسه ، مخافة أن يضطرب قلبه المريض ، ثم أمر وكيله بأن يستقبل الموفد ريثما

يحضر على جناح السرعة .

وأقبل الوكيل خط الهاتف ، ثم هرول نحو الباب فجثا ثانية أمام الثقب ، لينظر ما حل بالموفد ، وكان الموفد آنثوذ يفحص اللوحات النحاسية المثبتة الى جوانب أبواب الحجرات ، حاملة أسماء أمين الصندوق ، والمدير .. ووكيل المدير .. وديوان الاوراق . وكان يشق بأصبعه خطوطاً عبر الغبار المتراكمة عليها ، ويشيح بوجهه عنها بشمئزاز وقرق . ثم لا يلبث حتى يتنقل بين زوايا البهو ، فيحك بطرف خذائه بعض الاوحال الجافة ، قاذفاً أعقاب السيكارات والاوراق الملقاة على بلاط البهو .

فأسف الوكيل مرة ثانية لهذا الاعمال والتقاعس ، وأعتقد أنه من الظروف السيئة التي تحيط بالشركة ، ان يقدم الخادم استقالته ، اذ ان الظروف اظهرت ضرورته ولزومه بأكثر من ضرورة المدير بالذات .

واخيراً تحقق لديه بأن هذا الزائر هو بالتأكيـد موفد مجلس الادارة ، اذ ان من صفات امثال اولئك الموفدين ، التخفي والتجسس والمفاجأة .

وبعد هنيهة حضر المدير فاحـذ الموظفون يرقبون حركاته في شيء من الوجـل ، فهم يعرفون انه مصاب بمرض القلب ، وان الهزات العنيفة تؤثر على قلبه ، وتجعله معرضاً للخطر زمنأطويلا .

وسأل المدير وكيله اسئلة عجلى ، وهو يصعد الدرج :

— اين هو .. ؟ هل استقبلته .. ؟

— اجل ، إنه في حجرتك يا سيدي ..

— في حجرتي ؟ .. ولكن .. ولكن !!

— ولكن ماذا يا سيدي .. ؟

— ولكن ما شكله ؟ . هل عرفته ؟

— إنه .. انه يا سيدي يبدو وجيهاً من الوجهاء .

— قلت هل عرفته ؟ .

— كلا .. كلا . . غير انه ما من احد يشك في انه احد

المفتشين .

— حسناً .. حسناً ، ادع امين الصندوق .

وقاطعه وكيله قائلاً :

— ولكن .. تمهل يا سيدي .. لا تتكلم كثيراً .. فاني المس

فيك التعب .. ترفق بقلبك .

ونهره المدير قائلاً :

— اسكت . ولا تتدخل بشأني ، قلت لك ادع امين الصندوق

ومعاونيه ، واخبرهم ان يهيئوا لوائحهم الحسابية للتحقيق . ثم

مزق العقد الذي عقدناه مع محلات « الاناقة » ، واتصل حالاً

بالمستودع ، ومرة بأن يوقف تسليم البضاعة ، لئلا يكتشف الموفد

الأمر الذي اتفقنا عليه سوية ..

وتلجلج لسان الوكيل ، ثم قال :

— اكنتني ارسلت ليلة الاُمس صورة العقد المزيفة الى مجلس
الادارة

وصرخ المدير بملء صوته ..

— ماذا .. وفيم العجلة ؟ . وأين الصورة الحقيقية للعقد ؟ .
— انها على طاولتك .

— على طاواني ؟ انه لا شك الآن قد دون في دفتر ملاحظاته
مضمون العقد .. آه لقد هدمت بيتي ، ألم أقل لك انني مزعج ان
اعرض عن الاتفاق مع محلات والاناقة ؟ فأننا اكره الاختلاس
والغش ، الا يكتفيننا مثلاً ما سيحل بأمين الصندوق ومعاونيه
من مصاب . ان طريق الغش ابداً مكشوفة ، وهي لا تفيده الا
بقدر ما تضر .

وعندما فرغ من كلامه ، كان قد وصل الدرجة الأخيرة
من الدور الرابع ، وعندئذ شعر بدوار في رأسه ، وأحس
باضطراب قلبه . فلما رأى الوكيل ما دهمي المدير ، هب لمساعدته
فقد ذراعيه ليدفع به الى أرض البهو ، ولكنه لم يستطع له دفعا ،
فقد كانت قواه خائرة أيضاً ، فزلت قدمه ، وسقط متدحرجاً
على الدرج .

سمع الموظفون والأذنون الضجة والجاوبة ، فهبوا من

مرا كزهم مهرولين ، فالتقط جماعة منهم وكيل المدير ، وقادت
جماعة أخرى المدير الى مستودع الاوراق وهو في حالة انغماء
شديد .

وفوق اكداس الاوراق والملفات ، اعتقد المدير في نفسه
أنه يحضر ، فلما رآه وكيله في الرمي الأخير ، أمر أحد
الموظفين بأحضار أدويته وعقاقيره من درج الطاولة . فبرح
أحدهم المكان مسرعاً لتنفيذ الأمر .

قال المدير وأنفاسه اللاهثة تقطع كلماته :

— اكتبوا .. اكتبوا وصيتي .. تناول يا بدر ورقاً وقلماً.
واكتب . ان ثروتي تساوي نصف مليون ، اني .. اني هنا وانا
في طريق الى الحق ، لا يسعني .. لا يسعني الا ان اعترف ، بأن
هذه الثروة التي جنيتها ، توخز ضميري ، فقد كنت أتفق مع
وكيلي على رفع الاسعار حينما نبيع البضائع ، ثم نتقدم الى مجلس
الادارة بأسعار مخفضة ونطمس على الفروق .. بالمصادفة الموت.
ما أغربها من مصادفة .. ان الموت يلقي المرء في منتصف الطريق
ويسأله : ماذا تصنع ؟ .. عندئذ يكف السارق عن السرقة
والمرثي عن الرشوة والمجرم عن القتل . اني الآن أرى أبواب
السما مفتوحة ، أن هناك صوتاً خافئاً يهمس لي بالدعوة . سأذهب .
سأذهب لأصالح ربي وأطلب منه الغفران .

وبعد هنيهة أحضر أحدهم الأدوية والعقاقير . فجرع منها

المدير وبلغ . واذا به بعد حين يشعر بانتعاش قلبه ، فيفتح عينه
واذا بالموظفين حوله واجمين .

عندئذ يذهب كل منهم في سبيله ، فيحرق الوكيل في وجه
المدير ويقول :

— والآن .. اذهب لمقابلة الموت الحقيقي .

— حسناً .. سأذهب .. توكلت على الله .



دخل المدير الحجرة ، فوقع بصره على ذلك الشخص الصارم
السمات النافذ النظرات ، فأسرع اليه وأخذ يده مصافحاً . ثم
جلس الى جانبه ، متخلياً عن مقعده خلف الطاولة تقدير الضيفه .

ظل الضيف معتصماً بجبل الصمت . فهو لم يرد حتى تحية
المدير ، مما زاد قلب المدير رهبة وتقديراً .

وفرك المدير كفيه ، ثم بدأ يتحدث قائلاً :

— لا شك أنكم مستأوون لحال الشركة وما أصابها من

تدهور .

وأمسك عن الكلام ، بغية الاستماع الى رد الفعل عند الموفد ،
ولكن الموفد ظل صامتاً . فظن المدير أنه يسخر من هذا القول
الذي لا يستحق ان يعلق عليه ، واعمق في ذاته ، أن الموفد

يعرف حقائق أعمق من هذه الحقائق التي سردها . فما عم حتى نهض من مكانه وجلس الى طاوانه وهو يقول :

— حسناً ، فما دمتَ تعتمدون الصمت ، معبرين بذلك عن سخطكم ، فأني مزعم أن أقدم استقالي . .

وتناول ورقاً وقلماً ، ثم راح يكتب استقالته . وبينما كان منهمكاً في لم شعث بعض الألفاظ التي اراد أن يسلكها في سطور الاستقالة ؛ تقدم منه ابراهيم وهو يخرج من جيبيه بطاقة ويقدمها اليه .

تناول المدير تلك البطاقة وهو مذهول دهش . ثم قرأ :

« عزيزي سمدي .. »

بما أنكم حدثتموني يوم أمس في المقهى ، عن حاجتكم الى رجل يقوم على تنظيف الدور الرابع ، فاني رأيت أن تضعوا ثقتكم بهذا الرجل الأمين . ولعل هذا الرجل خير من سواء فهو اصم لا يسمع شيئاً مما يقال . فما اعذب الموظفين الصغار الذين على شاكلته .

جندي في السماء

مهدة الى شهداء ١١ كانون الاول

شهداء معركة طبريا

انا طفل صغير ، في السابعة من عمري .. كنت بالأمس في عهد دامس ، عهد لم يمنحني حق المعرفة ، ولم يسع لي الحياة الحرة . اما الآن فأنا اتقصى الحرية ، واسترسل في تفويض العبودية عن نفسي الصغيرة .

بالأمس كان لي اخ ، اما اليوم فلم يبق عندي أخ .. وجميع رفاقي الاطما لهم إخوة يحبونهم ويقدمونهم .. اما انا فقد كان لي اخ .. ولكنه الآن في السماء .

جميع أهلي وأقاربي .. اعتبروني غيباً ، ولكنهم اخطأوا ، لأن الطفل يعرف كل ما يجري على الكرة الارضية .

وأحببت الا بعضي علي امر ، فحزنت مع أهلي وأجهشت في البكاء ، أمام صورته التي لم تذو فيها ابتسامته المشرقة .. ولكني مع ذلك كنت اعرف ان اخي سيمود ذات يوم ، وسوف أسعد واسر بمقدمه .. فالاطفال يحبون ان يمشوا جانب الضباط ويلتذوا من حركاتهم ، ويسروا من تلمس أزرار معاطفهم ، ويحبوا

من تقلد قباياتهم الواسعة التي تفرغ نصف الوجه .

وقبل يومين فقط ، أمر أخي برسالة ان نحصل له على دار مسكن . فهو يرغب في الزواج .. وبحسنا له وفقتنا .. فلم نمر على دار مسكن ، لان السكان منحشرون في جميع الابنية والمساكن ، متلاصقون قرب بعضهم ، ينتشون برحيق الحياة ، فلم يسمحوا لأخي بأن يفوس في جنباتهم ، لينعم بما ينعمون ويلتذ بما يلتذون بل ولم يشفقوا على خطيئته التي رأت ان تخلد الى قلب أخي الدافي . حيناً يعود بمده الى خطوط القتال .

.. بلى .. لقد فشلنا في إيجاد مسكن .. ولكن المشيئة الخفية التي تكبل ضائرنا وتتجاوز عقولنا ، اختارت له مسكناً صغيراً اجل فهناك خارج البلدة .. تقوم فسحة خضراء لا تستقبل الا الصامتين .

وعاد أخي كما كنت آمل .. وزارني صديقي كي يراه ماشياً جانبي . ولكن صديقي في هذه المرة لم يره ولم تقع عليه عيناه الصغيرتان . لأن أخي جاءني هذه المرة في صندوق خشبي موصد . أجل في صندوق خشبي لم يسمحوا لنا بفتحه ونشه كي لا يزداد البكاء .

في ذلك اليوم هطلت امطار غزيرة ، والصندوق في الغرفة يجذب الآلام . وأني جاث قربيه في ذهول كلي ، ملصقاً خده بجانبه الخشن ، كأنه يستمع الى وجيب قلب ابنه الذي لم يبق منه

إلا الصدى المتباعد . وأحد من الناس لم يقترب من الصندوق
إلا والقي بالأزهار عليه . حتى أمسى هذا دوحة وارفة من ربيع
دافي . ، أيقظته مشاعر الناس على أفق جديد من حياة أمة أخي
ووطنه .

ومرة ثانية ، اشفق الناس علي وظنوا أنني حتى منتصف
النهار ، لم ادر من الامر شيئاً . ولكن الأطفال يعرفون كل شيء
مهيأ في سجيته .

وطال امد زيارة أخي . حتى خيل لي انه جاع في صندوقه
ولكني لم اقترح تقديم الطعام له . لا أنني اعرف انه لم يعد بإمكانه
ان يأكل . لقد تكون اسنانه محطمة . وثغره ممزقاً . لا بل ان
شهوة الطعام في نفسه انفقته .

واقتربت من الصندوق ، ولم يكن هناك من يؤكد وجود أخي
فيه . كان يوماً من دخان . ورفيقي بجاني ايضاً لم يصدق . ففي
الاحلام يشاهد الصغار اروع المآسي وافدحها تتحقق . وهذا
مشهد ، مشهد أن نستيقظ بعده . وكان أبي وحده يستطيع ان
يصف ما يشاهد في قلب الصندوق . ولكن لسانه كان منحللاً
رخوياً . كان يحرق في جنبات الصندوق فيحترق بطرفه الثاقب
المثقل بالأمم والأسمى تلك اللوح القائمة . فيرى جسد ابنه ويلقي
عليه نظرات الوداع . نظرات ممزقة زائفة . نظرات لا تهدأ ولا
تستقر ، فبين تلك اللوح المتحدة ، جسد ممزق كاشلاء زورق
صرعته صخرة القدر أبادته .

.. وعجبت وصديقي ان يتمزق اخي .. ونساء لنا .. أيتمزق
الانسان بالسكين كما يتمزق كتلة من اللحم .. وأحسنا بقشعريرة
في جسدنا .. وطاف في مخيلتنا ، ان الخالب الحيوانية تمزق
الاجساد ولا تتورع عن نبش القلب الانساني من مكانه الآمن ،
ثأراً لطبعها الوحشي المتأصل ، وثأراً للدناءة سجاياها المتوارثة .
واقتربت من الصندوق أكثر .. فلم اسمع همساً ولا صوتاً .
فلمائت وديع كل الوداعة ، هادئ كل الهدوء . فارتعت وصديقي
الصغير من صمته الازلي . وسألني صديقي ، « ان يخرج لنراه »
فلم احفل باجابه ، والاقفال تزعمت جسده وهما هي صامته لا
يجتلي غمها .. وطففت حول الصندوق ثم مددت اصبعي الرفيعة
البيضاء في ثقب دقيق ، فلمست يد أخي . وكانت باردة . ثم لمست
كم معطفه فاذا هو مهترى ، ممزق . والازرار ارتحلت عنه ، وضغطت
كفي ، كي اتلمس صدره ووجهه ولكن الثقب دقيق ، فاخرجت
اصبعي ، فاذا هي حمراء قرمزية مشبعة بدمه القاني . دم يجري في
عروق جميع الصغار والكبار . ويا للأسى ان أخي بذل دمه
وازهق روحه ..

وانقلت باصبعي المصطبغة بالدماء الى ركن قصي ، وحدقت
بهذا السائل المباع ، فلم ار سوى حديقة من الافحوان الاحمر
تزرع اصبعي . حديقة فيها عندليب يؤمن باغصانه ووروده .. لم
ادرما الذي حشر في مخيلتي تلك الرموز انها ذكرى متخلف
في ذهني على الدوام ، صورة ذلك المجد الذي شاده أخي على

نافورة فوارة من دماء قلبه العريقة ..

وعند المساء ، انتقلوا بجثمان أخي إلى المقبرة . وكان صديقي الصغير قد افترق عني ، وذهب الى بيته ليأكل ويميش .

أما انا ، فقصدت المقبرة من جانب آخر . واستيقظت الجنائز المقدسة ، فرأيت المسكن الذي اشتراه الوطن الى أخي . . كان مسكناً لا فسحة فيه . . لأن ساكنه عزف عن الحركة ، وابطل القيام والقعود .. أجل كان مسكناً ضيقاً ليس له باب أو نافذة .

ولم يسعني الا أن احرق بهذه الجموع الغفيرة . . فقد جاءت لزيارة أخي مرة أولى وأخيرة . وكانوا جميعاً يبكون والمناويل على مآقيهم .. ذلك لأن السماء تبكي بغيومها ارضنا . ارضنا ذات الصفة الانسانية التي لم تتركز عليها بعد معالم الحب الانساني خلال احقاب التاريخ .

ونزل الصندوق أخيراً الى مرقد أبي نأدي أخي في شيء من الذل والعبودية ، ولكن أخي ذهب بمنفوانه وكبريائه ، وتدنر التراب كما تتدنر الامة العظيمة كرامتها وعزتها .. ورحلت بعد هذا ، انظر في وجوه الناس ، فأشاهد في كل وجه صورة أخي ، وفي كل سمة ملامح أخي . أجل فهو لاء أيضاً اخوتي .. ويمكنني ان اشغل قلبي بجمعهم .. لأنهم أيضاً سيبنون المجد كما بناه أخي الراحل .

..أنا طفل صغير. في السابعة من عمري. وساغدوا رجلا .
اجل انا كالشعب .. وانا بمعيدتي خيرة الوطنية والآباء ..
أنا لم أفقد أخاً، أنا لم اندب أخاً .. وانا لم ابث آلامي واحزائي .
لأن الكل اخواني وان الجميع اخوة في مضمون كلمة الشعب .
في ذلك اليوم هطلت أمطار غزيرة . هطلت على المروج
والمراعي والحقول ورؤوس الناس . فأنبئت العشب وانمت
السنابل . هطلت بسخاء كي نستمر في عيشنا . وكي تستمر حياة
امتنا في انقاس اجيالنا الصاعدة .

فودعنا الشمس ونمنا ليلنا واذا بها تشرق من جديد .

الوطن السعيد

استدان ساطع من حصالة أخته الصغيرة ، عشرين قرشاً ، دفع منها عشرة قروش اجرة ذهابه في «الباص» واحتفظ بالعشرة الأخرى للعودة . ثم قصد ملتقى الشباب ، امام «سينما حلب» . كانت دور الملاهي آنئذ تفص بالرواد ، وكانت الاعلانات المثيرة محط أنظار الشبان . فهي بالنسبة لهذا العصر ، حقائق واردة في شكل راقصات وقتلة سفاكين ، ولصوص يجتازون الحواجز ، تكشف عنها أضواء بنفسجية وحمراء ، تنبعث تارة وتنطفأ أخرى . وكانت هذه الحقائق التي تقع في نفوس الشبان ، موقع الحقائق الدينية بالنسبة للشبان القدماء ، توقظ في نفوسهم أحاسيس غريبة ، ومشاعر ثورية ، تجعلهم أبدأ في تمرد .

وكان ساطع أشد أولئك السذج تأثراً . من أجل ذلك حمل لواء الثورة على استبداد العادات المحلية . فعندما اكتمل عقد الرفاق . قال ساطع :

— لقد قررت ، أيها الرفاق ، السفر الى البرازيل
فصاح الاتراب صيحة واحدة .

— الى البرازيل ؟

— أجل الى البرازيل !! ، وماذا في الأمر ؟ .. الاترون

معي أنا تنفق شبابنا في قتام ذهني ، و كبت عاطفي .
فأجابه أبو نافع ، وهو أكبر الرفاق سنًا ، وله في قلوبهم
مكانة رفيعة ، لآرائه الحصيفة :

— أنا لا استحسن فكرة الهجرة .

— ولماذا ؟ ألم يهاجر قبلنا رجال ؟ .

— هذا صحيح ، ولكن ظروفنا أفضل من تلك الظروف

التي دفعتهم الى الهجرة .

— وماذا في ظروفنا من محسنات ، ان الحال أسوأ ، هيا
قل لي بربك ، أعندك ما يسر النفس ؟ . أين هي تلك الاندية
الراقية ؟ . أين هي تلك المراقص التي تذهب عن النفس همومها ؟ .
ان مئات الأشياء تنقصنا . ان أرزاء الحياة زادت عشرات
الأضعاف .

— إنني أرى من المفيد ان نفسجهم مع حياة العصر ونحرق

في بلادنا .

— أنت مخطأ . ان الهجرة تبتعث روح المغامرة في قلوب
الشباب ، فيذرعون الأرض بالرحلات ، ويقتفون آثار الثروات
ثم يعودون الى وطنهم ، أو لم تسمع بجورج مارديكيان .

— جورج مارديكيان ؟ .. ومن يكون ؟ .

— انه مواطن عربي ، هاجر الى الولايات المتحدة ، وهو

الآن يملك أعظم مجموعة من المطاعم في سان فرانسيسكو .

— هذا صحيح، ولكن ألا تدري ان الوطن يفقد عناصره
النشيطة بالتدريج .

— تباً لك من شاب ، إنني لا أفكر بالوطن ، بل بنفسني ،
ولا يهمني المكان الذي يؤمن لي تلك المطالب .

لم ينبس أبو نافع ببنت شفة ، فقد هاله أن يسمع صديقه
يتحدث فيما يشبه الكفر . فقال عبد الحميد :

— فكرتك ضعيفة .

ثم قال عبد السلام :

— إذن هاجر الى فنزويلا .

— فنزويلا ؟ . إنها لا تمجيني ، فالعرب أصبحوا فيها كثرة .

— وما قيمة ذلك .

— أنتي أريد ان أقصد بلاداً حاملة .. مثلاً تاهيتي ، كوبا ،
هونولولو ، حيث الرقص في الشوارع ، والحرية تسود كل شيء .

وانبرى شاب أشقر الشعر ، يشبه فتيان الانكليز ، اسمه
عبد الوهاب ، فقال :

— إذن إذهب الى حيث تريد ، ثم اعمل على استيرادنا
بواسطة من الوسائط .

ثم اعترض السبيل فظمي ، وهو شاب رصين ، هادي ، ناقب
النظر ، فقال :

— أنا لا أرتكب حماقتكم مطلقاً ، فعندي من الافكار في
وطني ، وما يجعلني في غنى عن تلك المغامرات .
فقال له ساطع ساخراً :

— أنت تعني ان اعمالك التجارية ، تغنيك عن ان تحظى
بمركز لائق في البيرو ، أو البرازيل ، أو تاهيتي . قل لنا بربك ،
كم ربحت بصفقة الشعير والعدس .

— لماذا تسخر ؟ .. لقد ربحت بالصفقة ثلاثة آلاف ليرة .

كان هذا الجواب محرجاً انك الآراء التي كان يتداولها
ساطع . غير أنه لم يقض على مخطط الحياة التي كان يهندسها ،
فقال منير ، وهو شاب قصير القامة دمث الخلق :

— انني بعد ان تزوجت ، لم تعد تعجبني أفكار الهجرة ،
فكل شيء بالنسبة لي قد استقر وتوفر ، فهنا هنا وطن جميل
وفير ، وكل شيء فيه رخيص ، الا المعتقدات الخلقية والدينية ،
عكس تلك البلاد التي تبشdqون باطرائها .

ومر بهذه الجمعية ، شاب أنيق ، اسمه فريد ، فما أن شاهد
ساطع حتى اخبره بأن تشكيلات مديرية التربية والتعليم ، قد
ظهرت منذ الصباح ، وأنه عين معلماً في قرية « جندريس » .
فدهش ساطع أنه أصبح معلماً ، رغم أنه يأنف من هذه المهنة
التي لا تليق به .

- وانضم فاخر اليهم ، ثم سأل :
- أين ستقضون سهرنكم ؟ .
- فأجابه مليح :
- في مقهى الحديقة ، ما رأيكم .
- فقال نزار :
- إمتني أعتذر .. فزوحتي وابنتي ناهد في انتظاري .
- فقال أبو نافع :
- اننا نعتذر المتزوجين .
- فانفجر الجميع ضاحكين ، وهنا قال ساطع :
- وانني أيضاً أعتذر عن مشاركتكم السهرة .
- فقال لطفي :
- ولماذا ؟ هل ستسافر هذه الليلة الى البرازيل ؟
- عندئذ قال فريد دهنشأ :
- ماذا تقول يا لطفي ؟ هل سيسافر ساطع الى البرازيل ؟
- أجل .. سله .
- أصحيح يا ساطع ؟ .. يا لك من مجنون ، اشكر الله ان
هياً لك هذه الوظيفة .
- فأجاب ساطع مستنكراً :
- أشكره على شيء من البدييات .

— كيف تقول هذا .

— أقول هذا بلا خوف . فمن واجب الله الذي تعتقدون بوجوده ، إيجاد وظائف لأمثالنا .

نظر سعاد في وجه ساطع ملياً ثم قال :

— ان تفكيرك ما يزال مضطرباً يا ساطع .

— كيف تقول هذا وقد بلغت من العمر الربع قرن ؟

— اقول هــذا ، لأن المراهقة ليست ظاهرة جسمية فحسب ، إنما هي فكرية أيضاً .

— ان الجدال معكم لا يفيد .

وتدخل أبو نافع بالموضوع ، ففصل بالأمـر ، ودفع بالشباب الى المقهى .

ولكن عبد الوهاب عاد فأثار الموضوع فسأل ساطع :

— وكيف ستسافر .

— افني انتظر لغاية أن يبيع أبي الدار ، عند ذلك سأطلب منه ثلاثة آلاف ليرة ، فاذا ما أمسكها عني ، هددته بالاختفاء ، أما اذا دفعها لي ، فأقول له بأنني أنوي العمل في بيروت ، وهناك أهيمـ ما هو ضروري للسفر .

وودع الأصدقاء ساطع ، ثم سألوه ألا يتوانى عن الكتابة اليهم ، ليطلعهم على مشاريعه وليصف لهم لون الحياة التي سيعيشها .

وافترقوا ..

بعد عدة أيام ، قىض لساطع أن يسافر ، فهياً سريراً عتيقاً ،
وفراشاً قائم اللون ، ثم قصد مرأباً ، حيث قلته سيارة عتيقة من
طراز « شفرولية » الى « جندريس » . هناك جلس يكتب
الى اصدقائه عن لون حياته الجديدة ومشاريعه ، وكان يبدأ
رسائله بهذه العبارة « من جندرايس أكتب اليكم » .

وكان تحريف اسم القرية من « جندريس » الى
« جندرايس » يهدأ من ثورته ، ويبعث في نفسه الاطمئنان ، ذلك
لأن كلمة « جندرايس » أقرب الى اللغة الانكليزية .



صرع زبابت

اتخذ سلمان مكانه في مقهى البرازيل ، وهو في حالة فزع واضطراب ، فجعل يفكر فيما جرى بينه وبين صديقه من عتاب ولوم وتأنيب .

وما أن هدأت أعصابه قليلاً ، حتى شعر بالندامة على ما كان في نيته أن يفعل ، فشكر الله أن حرمه من جرأة قتلها ، وسد عليه سبيل خنقها ، فقد كانت عنايته دليل محبته . فما فرط بنفسه وما أقدم على شيء مستكره ممقوت ، بل اكتفى بصفعها صفعه قوية جعلتها ترتدي على السرير باكية نادية ..

جاء بطرفه أنحاء المقهى ، ثم نظر في الساعة المستديرة المثبتة في الجدار .

وما لبث حتى قال في نفسه . « ولكن المسألة بقيت بلا حل ... أي شيء يمكن أن يقنع صديقي لطفي باستقامة مسلكي ، إنه سيحضر بعد نصف ساعة ليأخذ المبالغ ، ثم يعمل على رفع الحجز الذي القاه على منزلي .. يا للخجل .. كان علي أن أقتلها ، ولكن حمداً لله على أنني لم أقتلها .. »

وبينا هو كذلك ، شاهد ذبابة عبر سحب أدخنة السيكرات ، قاصدة ساحة شخصه . ما لبثت أن طافت مرتين حول رأسه ثم حطت على جبينه بمثل ما تحط طائرة على أرض مطار . وبعد هنيهة انتقلت من مكانها ثم استقرت على أرنبة أنفه . وأخيراً اختارت لإبهامه مسرحاً لا أداء رقص بديع رويح عن نفسه بعض الشجو والألم .

لقد رأى في حركاتها شهاً عظيماً بتلك الحركات التي كانت تأتيا معشوقته بهيه . فهذه رقص ترويحاً عن الانفس ، وتلك من أجل لا شيء .

وهنا تذكر أيامه الخوالي . تلك الأيام التي أوقدت في قلبه حباً جارفاً وغراماً عنيفاً جعلاه يقتبس عن اسطورة العبودية فنوناً يقتدي بها كلما آتس الى الراقصة بهيه . . حتى اذا ما استغرق به غرامه المشبوب سنة أو اكثر ، ظفر الشقاء بنفسه ، وفاز الافلاس بثروته ، وحظي الفقر بعقله ، وبات رجلاً لا يملك الا منزلاً وصورة راقصة اسمها بهيه .

تذكر ذلك الماضي القاتم ، والذباب ما تزال تؤدي رقصتها البديمة على أهبامه . فأقر بشرعية ما أوقع صديقه لطفي من حجز على منزله ، وآمن بصحة ذلك العمل ، بعد ان واعدته مرات عديدة بوفاء جزء من الديون المستحقة ، ولكن ثروته الضخمة ذهبت هدرأ في مهب غرامه العنيف . فكيف به يحظى بما ييسر أمر صديقه ويجعله قانناً قانماً برفع الحجز .

لقد ذهب منذ نصف ساعة الى مسرح فريال ، فقابل معشوقته وشكى اليها أمره وبسط لها شأنه . ولكن معشوقته صدته صداً لطيفاً ، ومنعت عنه بعض حوائجه مما أثار حفيظته . فعزم على قتلها . ولكنه لما أزمع ، انطفأت فيه جذوة الحماسة بقبلة من شفتيها ، فلما آتس في نفسه جبناً ولمس فيها فرقاً وجذعاً ، لطمها بكفه ثم رحل .

وبعد فترة قصيرة، ثاب الى رشده، فجعل يحدث نفسه قائلاً :
« تباً لنا ما أشقانا نحن البشر ، اننا فضوليون ابدأ على مبادئ
الفن .. نريد ان نطبع في أذهاننا صوراً عن مفهوم الفن والجمال ،
فنلجأ الى رخصيات النساء ، نوليهن اهتمامنا ونهين اعجابنا ، حتى اذا
ما اخذت قلوبنا بسحر اغرائهن . بدأن بامتصاص دمائنا . ثم ان
هناك معشراً آخر ، يدعى أنه موجد في اللهو والعبث والميسر
والمشروبات ، نافذة بطل خلالها على مجاهيل الوجود وسببته ..
فيفرق في بحر الرذيلة . وينطوي في طبقات المخدرات ، وينجرف
في تيار الميسر ، مدعياً ان التماس الفن هو في هذا الاغراق
الكلي .. يالهم من مجانين حمقى ، لقد عملت بمزعمهم ، ردحاً
طويلاً .. فأحببت راقصة كل الحب، وشغفت بفنها كل الشغف،
وشربت معها الراح، شرب الظامى الماء ، ولعبت الميسر في مسيلها
لعب النصوص الأفاقيين . ولكن الخسار كان ينحت في الوقت
ذاته ذلك التمثال الذي شيدته عن مفهوم الجمال والفن .. فتداعت
أخلاقي ، وتهدد جسمي بالمرض ، واعترت ذهني فترات خبل
وسكون ... أواه كم نحن مجرمون . إننا نثقل كاهل البشرية
بضروب من الرذائل ، ثم نطالب الزعماء ورؤساء الاحزاب
بمحوها واجتثاثها . إننا في الحقيقة نطلب الاعدام لأنفسنا دون
ان نشعر .. ما أحرانا ان نتأمل ذبابة ترقص ، أو نحلة تطير ،
او عصفوراً يغرد ، او فراشة تتنقل ، او جدولاً يجري ، او
شجرة تهتز ...

يا لنا من اغنياء ؛ ان الذبابة تعبر عن أبرع فن واخلد جمال ،
دون ان ندفع شيئاً من المال .. وهكذا كل شيء صغير جداً . ،
تاوه سليمان ، ثم ارسل زفيراً محترقاً ، وقذف ابهامه في
الهواء ، فطارت الذبابة ، ولم تكد تمضي فترة قصيرة ، حتى وقع
طرفه على صديقه لطفي مصطحباً اسماعيل وقد دخلا المقهى .
فحياهما ثم اجلسهما الى جانبه وجعل يسألها عن صحتها
واحوالها .

وبعد حين وجيز حث اسماعيل ، ذلك الصديق الوسيط ،
الطرفين على الاتفاق . ثم شرع يبرر عمل لطفي في القاء الحيز .
اثناء ذلك وقفت الذبابة على خد لطفي ، واخذت ترقص
رقصتها المألوفة فما لبثت حتى استلبت انبواء سليمان من جديد ،
وجذبت نظره ، وهيمت على يقينه ، حتى خال نفسه يشهد رقصة
من رقصات معشوقته بهية .. تلك التي صمم على قتلها منذ اكثر
من نصف ساعة .

اثناء ذلك خاطب لطفي صديقه اسماعيل قائلاً : انه لن يهتم لوساطتك .
انظر انه يحدد بوجهي وكأني عدوه اللدود ، ولكن ماذا صنعت
قل له ماذا صنعت ؟ انني افسحت له مجالاً واسعاً كي يسدد لي
بعض الديون ، ولكنه استغل تلك المجالات في تففيذ مآربه ،
حتى غدت اموالي في حكم المفقودة أفليس من حقي ان اقوم
بالقاء حيزاً احتياطياً يكفل لي شيئاً مما اسلفته ؟ .

أو لم أقل لك يا اسماعيل أن لن يقبل المفاوض ؟ ها هو ذا ينظر
في وجهي كأني عدوه اللدود . هيا بنا فنصرف .

كان سليمان أثناء ذلك مأخوذ اللب برقص الذبابة ، كان
مأخوذاً بحركاتها التي تشبه حركات معشوقته بهيمة ، تلك التي
توجت رأسها بإكليل الكذب والغش ، بغية استنزاف أمواله .

ومرة ثانية عادت الى مخيلته صورة حياته القائمة ثم تذكر
قراره الذي اتخذ من أجل قتلها ، تخلصاً من شرها ، وقطعاً
لداير ما بينه وبينها من تجاذب ، وإيقافاً لحركات رقصتها التي كانت
له كلسلسلة بالنسبة للطب ، واعتزته احاسيس جعلته يحتقر نفسه
ويزدرجها . ثم غشت عينيه غشاوة رقيقة ، جعلت من الذبابة راقصة
حقيقية تهز بدننها وأرجلها . فرفع يده صافعاً كذبها وغشها . كما
فعل منذ أكثر من نصف ساعة مع معشوقته . ولكن يده في
هذه المرة أصابت من خد صديقه لطفي مصاباً أليماً جعلته يقفز
عن كرسيه هارباً ..

وبعد قليل ، صحا من غيبوبته فسمع صديقه اسماعيل يقول :
يا للوقاحة . كيف بلغت بك الجرأة يا سليمان ان تصفع صديقك ؟
ثم شاهده يرحل عبر سحب أدخنة السيكرات .

ولما مضت لحظات قاتمات ، شاهد الذبابة الراقصة متقولة على
الطاولة . فخرج من المقهى وهو يخاطب نفسه كالبلهاء ..

الہیٰ شے عن جبر شوم

لبث فترة عند الباب ، وقد اخذته رعشة باردة ، سرت في قدميه الخافيتين وبلاط الدهليز المشحون بالبرودة ، يصرع الدفء القليل المسفوح في اوصاله .. فيرتجف .. وكل شيء من حوله ساكن ، الا ذلك القميص المرتق المنشور على حبل رفيع . كان يهتز متألماً . لسكانه يشعره في ابضاح ، ان ربيع الشمال ما زال تغزو بلدته الصغيرة القائمة على الرابية في غير اشفاق ، وآلام المشردين من ابناء جلده في استمرار ، فالحياة المجبولة بالآلام والخطوب ، ركبت اعناق اولئك البؤساء في غير رفق ولا لين . كان ما يزال واجماً مكدرأ ، وظل شجرة عالية يتراقص امامه في غلظة .. على البلاط الاصفر ، حيث مات الصخر تحت اقدام البرد الشديد ، وظلال أخرى من الآلام تنقلب في مخيلته ، تشعره بوحدته ، وتضرم فيه احساس الغربة والوحدة . فيتألم .

وانتفض الفسى من غفوته مذعوراً ، واستطاع ان يسمع صوت المعجوز ، تقول له .. « انتبه . لا تطأ بقدميك عتبة الدهليز اني آتية . »

فلبث فترة عقد الباب ، وقد اخذته رعشة سرت في قدميه الخافيتين وفطن الى ان مرض السل قد يتراعى من جسده على المتبة ، فيتدرج هذا في وهن حتى يفوس في جسد المعجوز ، ومع ذلك فلم يظله انذارها ، لانه اعتقد انها مستشري منه الياقوتة بضمن مرتفع ، وعندها سيتألب على مذهب الذل .

وارتسمت ابتسامة على شفثيه الرقيقتين اللتين سلّبهما الجوع
حجرة الدم ، ولكن سرعان ما اختطفها الريح النابجة ، فقد ذكر
حزنه وتأثره من مصرع أسرته . أسرته التي كانت تعمل في هداة
وسكنة ، من أجل الحياة .. فبكى .

وكان من قبل قد بكى بذات الدموع . بكى حين خر والده
صرىماً تحت شجرة البرتقال . وكانت اغصانها وقشذ مشحونة
بازاهير عبقة ازاهير كالامال في بسمتها .

جنود .. جنود مسلحون اقتحموا الدار والبيارة ، وبرز لهم
ابوه للذود ، محاولاً ان يزيل اثار اعدامهم لكي يحافظ على محراب
حياته . ولو ان غرة سقطت كلها .

تذكر القى هذا .. ثم بكى .. لا بل وواصل البكاء فقد
تجسدت من جديد ، امام ناظره . جثة والده وهي ممددة على ارض
الوطن . الى جانبها بندقية ساخنة ، ظلت تدافع عنه بضغ ثوان .
وقد القى بنفسه على ابيه المقتول آنثذ ، يرجوه ان يعيش .
يرجوه ان ينهض ليعمل ويشتري ويقدم له الهدايا .. ولكنه عرف
فجأة ، ان اياه لن يتحرك .. ولن يقول بعد الآن : ان هذه
التربة بمزوجة بدمي وعرق جبيني ، انها سفر كياني ، فلنحافظ عليها ،
فقد مات .

واستيقظ بعد حين من شروده القاتم .. فمسح دموعه بكمه
المتهدل ثم قال بصوت خفيض .. « سأنتقم ، بل سأنتقم .. » ثم
خرجت اليه المرأة العجور . وكانت بدينة ومقلدة بالاساور

والحلي .. بيدها قطعة حلوى تأكل منها .. وبيدها الاخرى ..
سيكارة تحترق .
فسألته ..

— من أين لك تلك الياقوتة .
وتلصقاً في الاجابة .. ثم احمر وجهه ، وبدت عليه علام
الارتباك .

— .. اجب .. قل ، من اين سرقها ..
وانتفض من مكانه جزعاً .. ثم قال ..
— .. انا ..؟ .. انا لم اسرقها ، اني لست سارقاً .. اين هي ؟
اين هي .

— اتريدها ايضاً .
— انها لي .. انها ملكي .. انها املي ..
— يا خبيثك ايها الصغير . أمن المعقول ان تملك انت .. انت
الفقير ، حلية ؟ قل لي بربك ، من اين سرقها ، قل لي وسأعيدها
لك .. او اشترىها منك ..

— انها .. انها .
— .. قل .. لا تخف .
— اسمحي لي ، قانا لا نستطيع ان ابوح لك بسرها .
وضحكت المعجزة ، ثم قطعت بانيابها لقمة من الحلوى ..
والقت بالسيكارة بعيداً . ثم قالت :

— انتظر قليلا .. سأعبدك .. ولكن حذار ان تطأ
بقدميك عتبة الدهليز ، حذار .

حذار .. كانت هذه « الكلمة » العميقة هي آخر ما سمعه
من امه بعد هجوم الاثمين .

لقد قالت له امه وهي في النزاع الاخير .

« حذار ، ان تفرط بهذه الياقوتة ، انها ارث من أمي ..
عن جدتي ، انها ذكرى رائحة الاجداد والتاريخ ، فلتابع
التاريخ .. ولا تشتت التاريخ » فقال في ذاته :

« يا للقدر ويالهول الخطوب ، من يعلم اني سأصبح ذليلاً مريضاً
طريداً .. ويدي ياقوتة تدل على نصاعة تاريخي وعراقته ...

انا لست كذلك .. كم احب ان تدرك المعجوز هذا فتنصفني
وتشتري الياقوتة ، ان ابا حسن .. ينتظرنى .. فقد وعد ان يبيعني
مسدساً بمائة ليرة . اجل سأبيع التاريخ لاشترى ذلك المسدس
وسأبيع نفسي لانتقم للاب الذي قتل تحت شجرة البرتقال ..

.. اجل بإمكانني ان انقذ روحك ايها الاب الغالي . وانت
ايها الام الحنون . اجل اني . سأقتل من قتلكما . واقتد ظنكما
من انتصار من قتلكما . وسأقتش في شوارع غزة . لا بل سأقتحم
بيتنا الذي احتلوه . ثم سأواجه القتلة . فاشهر في صدورهم المسدس
وافرغ ابرصاته في صدورهم ..

أجل سأفعل كل هذا ، فانتظرا .

وهبت نسمة ريح باردة ، اخفى على اثرها ، رؤوس اصابعه
تحت ابطيه ، ثم استمر ينظم خطة الانتقام لوالديه ، في مخيلته .
ويعني نفسه بالفرح لما سينال من زهو وخيلاء واطراء من ابناء
بلدته الحبيبة الذين سيجلون عمله ويقدمون فيه هذه الروح
العالية المقدسة .

وفجأة عادت المعجوز ، وتفجته يا قوتة ثم قالت له :

— انا لا انصحك في ان تفرط بهذه الياقوتة الثمينة .

.. وذهل الفتى من هول كلماتها ، فتحسس باصابعه الياقوتة

وألقى بصره عليها يتفحصها ويتمن جوانبها ثم انفجر قائلاً .

— .. انها ليست يا قوتي ، انها مزيفة انها يا قوتة تبيعينها

للاغبياء ، ماذا فعلت ، أيتها المعجوز ، أيتها الدنيئة .

— ماذا ، ؟ اتحقرني ، أتهمني ، اني دفعت اليك الياقوتة التي

عرضتها علي فكن حذراً في كلامك . والا افشيت امرك للسلطات .

— وأي أمر هذا الذي ستفشيته .

— سأعلن انك سارق .

— أيتها الخائنة . أتودين ان اموت قبل ان انتقم لوالدي .

— انك لصغير .. اذهب

لم يستطع الفتى ان يكبح جماح نفسه ، فدفع المعجوز الى

غرفتها .. وتراجعت هذه مذعورة ، فاعرة الثغر ، مشلولة اليدين ،

لا تجد حيلة في دفع الخطر عنها ، فقد وطأ السل عتبة الدهليز ..

وأنه لا شك بدأ يتدرج الى صدرها ، ثم الى ثغرها وانفها ثم الى رثتها، وقد شعرت بوطأة المعركة واحسّت بأن جرائم السل تتغلغل في عنقها ، والفتى فوقها يتصبب عرقاً بارداً ، بعمل أصابعه في عنقها اللدن تارة ، ويطمس معالم وجهها القبيح بوسادة تارة أخرى. .. ومضت دقائق معدودة ، احس على اثرها انه جالس على حافة اريكة عميقة ، أعصابه منهارة ، وقوته الجسمية متلاشية ، وشعر ان شيئاً مربعاً تلاشى واضمحل . انها صيحات اندثرت في اجواء الغرفة ، ولم يبق لها أثر .

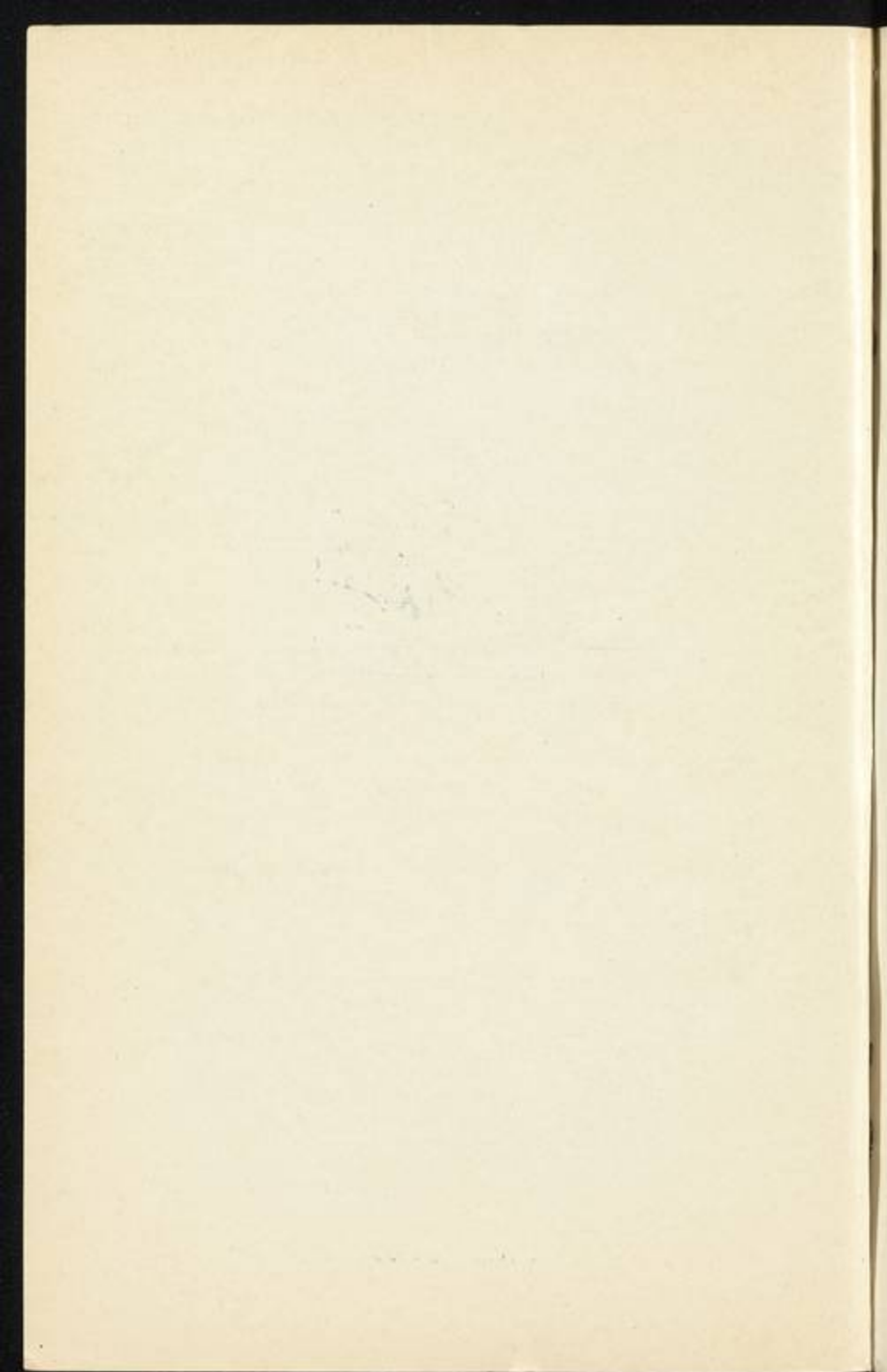
ولكن طرقات عميقة ما زالت تدوي في رأسه ، تعقبها بين حين وحين صيحات أناس يتوافدون خلف الباب ، وبدأ يطوف من اعماق الغشيان الذي اسدله ارتكاب الجريمة على نفسه . حتى احس بضرورة فتح الباب ليرى الناس نهاية هذه الجريمة .

بعد فترة ذهبوا به الى السجن ، فشاهد وهو في طريقه ، قتلة والديه احراراً ، لم يقتلهم احد ، ولم ينتقم منهم احد ، انهم ما زالوا يتصرفون باعناق بقية ابناء البلدة ، ولكن . لماذا . لماذا ؟ لم يستطع الوصول الى صدورهم . لماذا لم يستطع تفريغ مشجنة خفيفه من الرصاص في رؤوسهم ، لماذا ، لم يساهم في تطهير البلدة من الاقذار ، ذلك لانه وجد عائفاً وحائلاً ، وجد العجوز تراوغ وتساهم من أجل جشعها ، بل وجد الجرثوم . وانبسطت اساريه بعد هذا . ودخل غرفة السجن الأولى ، وهو يعتقد بانه قتل من قتل والديه .. ثم دخل الغرفة الثانية واستطاع ان ينام .

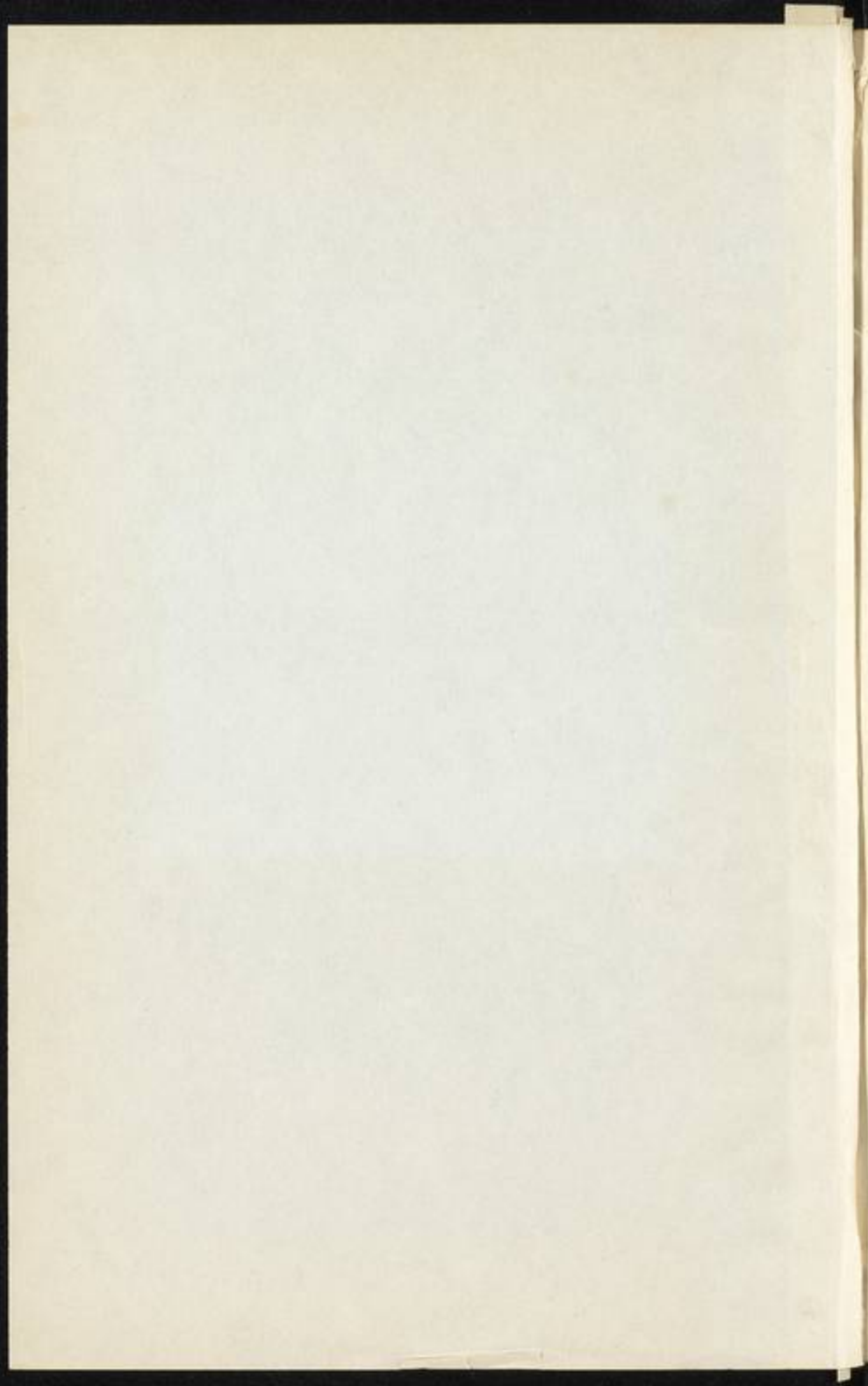
الفهرس

٥	المقدمة
١٣	جسد الجمهورية
٢١	الكارثة
٣١	السياج
٣٧	النأي المكسور
٤٣	الحقيقة والمسرح
٥٢	الأشجار الفاضلة
٥٩	الوجه
٦٨	جندي في السماء
٧٥	الوطن السعيد
٨٣	مصرع ذبابة
٨٩	البحث عن جوثوم











LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 073546242

(NEC)
PJ7816
.A95
J373
1958